

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٦)	شعبان المعظم ١٤٣٥هـ
العدد السادس	يونيو ٢٠١٤ م

المشـرف العام

عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد

رئيس التحريـر

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمـة:** بی ١ / ١٨ جی، ريورى تـالاب، بنارس، الهند The Editor, Sautul Ummah B-18/1-G, Reori Talab, VARANASI - 221010 (INDIA)
☆ تـرسـل شيـكات الاشتراک بهذا الاسم:	**دار التاليف والترجمة** Name: **DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA** Bank: **ALLAHABAD BANK**, Kamachha, VARANASI A/c No.: **21044906358** IFSC Code: **ALLA0210547**
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة

موقع المجلة على الانترنت: www.sautulummah.org

المنشـور لا يعبـر إلا عــن رأي كاتبـه

محتويات العدد

الافتتاحية

عالمية الدعوة الإسلامية

(٣-٣)

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

فعل الصحابة:

فعل الصحابة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يدل أيضا على عالمية الدعوة، فبعد وفاته صلى الله عليه وسلم، واستلام أبي بكر رضي الله عنه الخلافة، وبعد قضائه على فتنة الردة في السنة الحادية عشرة من الهجرة بدأ بالفتوحات الإسلامية نشرا للدعوة، حيث أرسل الجيوش إلى العراق وإلى الشام. ثم تابع ذلك من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن بعده عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث امتدت الدولة الإسلامية من حدود الصين إلى طرابلس الغرب شرقا وغربا، ومن أرمينية إلى اليمن شمالا وجنوبا. [١]

أقوال العلماء:

بعد ما قدمنا النصوص القرآنية والحديثية والوقائع التاريخية والعملية الدالة على عموم الرسالة المحمدية وعالمية الدعوة الإسلامية نسجل هنا أقوال بعض العلماء من القديم والحديث، وبعض هذه الأقوال تشتمل على نقاط دقيقة وتعليلات حكيمة يتجلى بها الموضوع أكثر فأكثر.

١ – يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"... فلابد من الإيمان بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جميع الخلق، إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، علمائهم وعبادهم، ملوكهم وسوقتهم، وأنه لا طريق إلى الله عز وجل لأحد من الخلق إلا بمتابعته باطنا وظاهر حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم اتباعه". [٢]

---

[١] التعامل مع غير المسلمين في السنة النبوية، للشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل، ص: ٦٦٩.

[٢] الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، ص: ٧٧.

ويقول أيضا تحت عنوان: "رسالة محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة":

"ومما يجب أن يعلم أن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى جميع الإنس والجن، فلم يبق إنسي ولا جني إلا وجب عليه الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباعه، فعليه أن يصدقه فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به فهو كافر، سواء كان إنسيا أو جنيا.

ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين ...." [1]

وقال أيضا في كتاب آخر له بعد إيراد الأدلة من الكتاب والسنة على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم:

"وفي القرآن من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن دعوة المشركين وعباد الأوثان، وجميع الإنس والجن ما لا يحصى إلا بكلفة". [2]

٢ – يقول العلامة ابن القيم رحمه الله:

"يجب الإيمان بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم إلى المكلفين، فكما لا يخرج أحد من الناس عن رسالته البتة، فكذلك لا يخرج حق من العلم به والعمل عما جاء به، فما جاء به هو الكافي الذي لا حاجة بالأمة إلى سواه .." [3].

٣ – يقول الدكتور عبد الكريم زيدان:

"من بديهيات الإسلام وصفاته الأصلية أنه جاء لعموم البشر ولم يأت لطائفة معينة منهم أو لجنس خاص من أجناسهم. قال تعالى: {وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا} ، وقال تعالى: {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا} وعموم الإسلام هذا غير مقصور على فترة معينة من الزمن أو جيل خاص من البشر، وإنما هو عموم في الزمان كما هو عموم في المكان ...." [4].

٤ – يقول الدكتور يوسف القرضاوي:

---

[1] المصدر نفسه، ص: ١٩٢.

[2] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ١ / ٣٣٦.

[3] إعلام الموقعين: ٤ / ٣٧٥ – ٣٧٦.

[4] أصول الدعوة، ص: ٥٨ – ٥٩ .

"هذه الميزة العالمية للدعوة الإسلامية إنما هي أثر من آثار الصبغة الربانية في هذا التشريع، فلو كان واضعه فردا أو فئة من الناس لتعصبت – بوعي أو بلا ودعي – لجنسها وطبقتها ومصالحها، ولكن المشرّع هنا – كما هو معلوم – رب الناس، إله الناس، فهم جميعا عباده، لا فضل لفرد منهم على فرد، ولا لفئة على أخرى بحكم الخلق والنشأة" [1].

٥ – يقول الأستاذ عبد الله ناصح علوان:

"كانت (الدعوة الإسلامية) عالمية وعامة لكونها ذات صبغة إنسانية في تشريعها ومبادئها، فهي رحمة للعالمين، وهي هداية للناس كافة، وهي منهاج للبشرية عامة.

فهذه الدعوة الإسلامية ليست تشريعا لجنس خاص من البشر أو لإقليم معين من الأرض، أو لفئة خاصة من الناس، بل هي لكل إنسان في الوجود بغض النظر عن لونه أو جنسه أو لغته أو أرضه. فلا عنصرية في هذه الدعوة، ولا عصبية في هذا التشريع ولا طبقية في هذا الإسلام. وإنما الناس سواء كأسنان المشط، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

والشعار العام في هذه الصبغة الإنسانية لدعوة الإسلام قوله تبارك وتعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم – الحجرات: ١٣} [2].

٦ – يقول العلامة القاضي سليمان سلمان المنصورفوري في فصل تحت عنوان: "الإسلام هو الذي عمم الهداية الإلهية للعالم كله مثل الربوبية":

"والحاصل أن الإسلام هو الذي يمتاز بأنه يجعل الله تعالى وحده إله العالمين جميعا، ويجعل الرب الواحد رب العالمين جميعا، ويقدم إلى العالمين كلهم دينا واحدا هو الإسلام، ويجعل جميع الأمم والأوطان تستحق نعم الله تعالى وأنواره على السواء.

إنه لا يكذب صالحا، ولا يبطل دينا سابقا، بل يوحدها جميعا بإرجاعها إلى أصولها، ويحملها على الإيمان بالألوهية الكاملة مثل الربوبية الخالقة.

---

[1] شريعة الإسلام، ص: ٢٠، نقلا عن سلسلة مدرسة الدعاة: ١ / ٢١.

[2] سلسلة مدرسة الدعاة: ١ / ٢٠ – ٢١.

فما أيمن الإسلام الذي مد يده إلى جميع الأمم والأقوام ليؤلف بينها ويوحدها، وما أسعد الأمم التي استجابت لدعوة الداعي المقدس، والتزمت مبدأ الحب العام". [1]

واجبنا نحو الدعوة العالمية:

بعد استعراض هذه الأدلة المتنوعة الدالة على عالمية الدعوة الإسلامية وعموم الرسالة المحمدية لكافة البشر يجابهنا سؤال هام وهو أنه ما مسؤوليتنا نحن المسلمين عامة والدعاة إلى الله خاصة من هذه الدعوة العالمية؟ وماذا يجب علينا نحو هذه الرسالة التي تخاطب جميع الإنس والجن والعرب والعجم والأحمر والأسود.

إن الإيمان بعالمية الدعوة يحتم علينا إبلاغها إلى كل من وجهت إليه في مشارق الأرض ومغاربها، فإن هذه هي أمانة في أعناقنا، تحملناها باعتبارنا مسلمين ثم باعتبارنا دعاة، والبشرية التائهة في ظلام الأديان والفلسفات والنظم الشرقية والغربية قد ذاقت الويلات وعجزت عن الوصول إلى السعادة الحقيقية. ولا سعادة لها ولا فلاح إلا في ظل الإسلام وحظيرة الإيمان.

إن مجرد تكرار دعوى عالمية الإسلام لا يجدي إذا لم تصاحبه الجهود المناسبة والمساعي اللائقة بحجم المسئولية. إن نحو أربعة أخماس العالم تعيش في منأى عن نور الإسلام وسعادة الإيمان، وإن أربعة من كل خمسة أشخاص على وجه الأرض محرومون من الهداية الربانية والسعادة الحقيقية. فهل نحن – معشر المسلمين ومعشر الدعاة – فكرنا في هذا الأمر وخططنا له؟

مع العلم بأن الأمر لا يعني فرض السيطرة وبسط النفوذ أو تكثير السواد بقدر ما يعني الإشفاق على أولئك المساكين من النار إذا لم يتم إنقاذهم منها وهم أحياء.

والله ولي التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.



---

[1] رحمة للعالمين: ٣ / ٥١٢.

التعصب والطائفية

(٢-٢)

الدكتور أحمد علي عبد العال
عضو هيئة التدريس في جامعة الملك خالد سابقا

آثار التعصب المذموم على الأمة الإسلامية [١]:

١ – تفرق الأمة الإسلامية:

فمن أبرز آثار التعصب المذموم هو تفرق الأمة وتمزقها، وإثارة البغضاء في نفوس أبنائها، والله تعالى يقول: {ولا تكونوا من المشركين، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون} (الروم: ٣١ – ٣٢).

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية" [٢].

٢ – تأخر الأمة وتراجعها وإيقاع الوهن في كيانها:

وهذا نتيجة للأثر السابق، فإن تفرق الأمة وضعفها يجعلها فريسة سهلة لأعدائها لعجزها عن الدفاع عن نفسها، فتهون على أعدائها فيجتمعون على استئصالها.

فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: أمِن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل" الحديث [٣].

٣ – نشر الكراهية والتدابر والتباغض والتقاتل بين أبناء الأمة الواحدة:

فلو نظرنا إلى واقع أمتنا المسلمة، وتأملنا طبيعة الصراع بين الطوائف المختلفة في بلاد المسلمين، لعرفنا مدى خطورة التعصب وآثاره بين طوائف الأمة الواحدة، تلك

---

[١] التعصب المذموم وأثره على العمل الإسلامي المعاصر، إعداد: د. ماهر أحمد السوسي وأ. محمد كمال السوسي، ص: ٦.

[٢] أخرجه أبوداود في كتاب الأدب، باب في العصبية (٤ / ٤٩٤)، ح (٥١٢٣).

[٣] المرجع السابق، باب في تداعي الأمم على الإسلام (٤ / ١٨٤)، ح (٤٢٩٩).

الكراهية التي لا زالت تؤدي إلى سفك الدماء وإزهاق الأرواح، وما يجري اليوم في سوريا والسودان والصومال والعراق واليمن وغيرها، دليل واضح على ذلك.

كيف عالج الإسلام التعصب؟

حارب الإسلام كل أشكال التعصب والانغلاق، وحث على التعارف والتواصل وإشاعة روح التسامح وإغلاق الأبواب أمام كل أسباب التعصب المذموم، ومن ذلك:

١ – بين الله تعالى أن الناس مهما اختلفوا وتباعدوا فإن عليهم أن يتذكروا أنهم جميعا من أب واحد، وأم واحدة، يقول الله تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ...} الآية (الحجرات: ١٣).

٢ – أمرنا الله بالعدل والإنصاف مع أنفسنا والآخرين فقال: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون} (النحل: ٩)، وقال أيضا: {وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل} (النساء: ٥٨).

٣ – حرم الله تعالى الظلم والبغي مع المخالف فقال: {ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى} (المائدة: ٨)، والإسلام دعانا إلى قبول الحق مهما كان مصدره، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها، يقول عليه الصلاة والسلام: "الكبر بطرق الحق وغمط الناس" [١].

٤ – حذر الإسلام من الغلو في الأشخاص وإنزالهم فوق منزلتهم، قال عز وجل عمن قبلنا من الأمم: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله} (التوبة: ٣١)، ثم قال عن نبينا صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين: {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا} (آل عمران: ١٤٤).

٥ – يقرر الإسلام أن أساس التفاضل بين الناس ليس اللون، أو الجنس، أو القبيلة، أو الطائفة، أو الحزب، أو الوطن ... إلخ، وإنما التقوى، والعمل الصالح: قال

[١] رواه مسلم ح (٩٠).

تعالى: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم} (الحجرات: ١٣)، فلا يفتخرن أحد بآبائه وأجداده، فإنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، والناس كلهم لآدم، وآدم من تراب.

٦ – الإسلام دين الرحمة والإحسان مع المخالفين حتى مع المشركين (غير المحاربين)، فكيف الحال مع المسلمين؟ قال الله تعالى: {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم} (الممتحنة:٨).

٧ – حث الإسلام على الرفق واللين، وتجنب الشدة والفظاظة والغلظة، تعليما للمسلم أدب التعامل مع الآخرين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه" [١].

وقال صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على ما سواه" [٢].

التعصب المذموم "الطائفية نموذجا"

ورد مصطلح الطائفية في النصوص الشرعية، ولم يأت على سبيل الذم في كل الأحوال، بل إن الشريعة الإسلامية مدحت الطائفية، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق .." [٣].

قال الإمام النووي – رحمه الله - : "ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين: منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض" [٤].

المعنى اللغوي للطائفية:

يقول الراغب في المفردات: والطائفة من الناس جماعة منهم، قال الله تعالى: {فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين} وقال بعضهم: قد يقع ذلك

---

[١] رواه مسلم (٢٥٩٤).

[٢] رواه مسلم (٢٥٩٣).

[٣] أخرجه مسلم (١٩٢٢).

[٤] شرح النووي على مسلم ٦٧ / ١٣ .

على الواحد فصاعدا، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، والطائفي نسبة إلى الطائفية [1].

لكن المعنى الاصطلاحي المعاصر للطائفية قد أخذ أبعادا جديدة في بيئتنا الاجتماعية والسياسية، فقد تم مزج المفهوم العددي للطائفية مع مفاهيم أخرى ذات مضمون فكري أو مذهبي، فتحول إلى ما يشبه الإقليمية العددية المنفصلة عن فاعلية الأمة، وبذلك أصبح مفهوم الطائفية يستخدم بديلا عن مفاهيم الملة والعرق والدين، التي كانت سائدة قبل ذلك، واختلطت هذه المفاهيم جميعا في بيئة متزامنة فكريا وسياسيا، فأنتجت مفهوم الطائفية باعتباره تعبيرا عن حالة أزمة تعيشها مجتمعات عربية، كالعراق ولبنان وسوريا وغيرها، حيث أصبحت الطائفية مذهبا وأيديولوجية وهوية حلت محل الهويات الأخرى والانتماءات الأعلى.

مفهوم الطائفية يكشف عن وجهين متضادين:

الأول: إيجابي، وهو ميل الإنسان إلى الطائفة التي يتفق معها عقائديا ومذهبيا وعرقيا وجغرافيا.

الثاني: سلبي يرتبط بالتعصب الطائفي وما ينجم عنه من أوهام وانحرافات تضاف إليه تأثيرات خارجية مرتبطة بمصالح خاصة، ويعمق هذا مشاعر الشحن الطائفي المتكرر (كاللطم في عاشوراء، وولادة الأئمة، والأربعينية وغيرها عند الشيعة الإمامية)، وما يرافقه من تذكير بثارات تاريخية مغلوطة (ثارات الحسين)، وما يرافقه من تحريض طائفي ضد أهل السنة (قتلة الحسين، وأعداء آل البيت كما يزعمون)، فتحولت الطائفية إلى شكل من أشكال العنصرية وما ترتب عليه من تداعيات تنامت فيها ظاهرة التكفير، والاستخفاف بدم الآخر وممتلكاته ومقدساته.

الطائفية السياسية:

المقصود بها: كل نزعة سلطوية عصبية أو عرقية تستغل الدين من أجل التعبئة وبسط النفوذ، وبالتالي هي بعيدة عن القيم الروحانية والمثل الدينية وتعاليمها لأنها نوع

[1] المفردات للراغب الأصفهاني.

من التحزب السياسي لأغراض دنيوية، فهي تسخر الدين وتستغله لتحقيق أهدافها وبرامجها الخاصة، كالصراع بين السنة والشيعة، وكيف استغلت الطائفية لتحقيق أهداف سياسية وأبعاد استراتيجية، ثم إلى فتنة عمياء.

ففي أثناء حكم الشاه محمد رضا بهلوي الذي استمر ما يقرب من أربعة عقود (١٩٤١ – ١٩٧٩م)، بل ومنذ سقوط الدولة الصفوية (١٧٨٥م)، لم تشهد المنطقة صراعا طائفيا، ولم يكن بين إيران وجيرانها صراعات أو حروب، حتى وصل الخميني وأتباعه إلى السلطة في إيران ١٩٧٩م وهو ما سمي بالثورة الإسلامية، ثم ما لبث أن ظهرت شعارات جديدة: (كتصدير الثورة، والثورة العالمية)، ورأى العالم الإسلامي نفسه أمام مخطط توسعي إيراني صفوي جديد، يسعى للهيمنة على العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، وبدأت خطواته التنفيذية العسكرية في كل من العراق وسوريا ولبنان واليمن وغيرها كما سيأتي.

إن شعار تصدير الثورة الذي رُفع مع بداية الثورة الخمينية لم يكن هدفه تصدير الثورة فحسب، بل وتصدير المذهب الشيعي الإمامي إلى الدول المجاورة وسائر أطراف العالم الإسلامي الذي يدين بمذهب أهل السنة والجماعة، ويرى المحللون أن قيام الحرب العراقية الإيرانية، والحرب الأهلية في أفغانستان، وما يجري اليوم في العراق وسوريا ولبنان – من استهداف لأهل السنة، والنشاط الدعوي المحموم في العالم الإسلامي للمذهب الشيعي – هو ثمرة من ثمار تصدير الثورة والمذهب، وأن السلوك الطائفي الإيراني الصفوي حيال أهل السنة والجماعة بعد نجاح الثورة، هو تطهير طائفي بكل ما يرافقه من فظائع إنسانية.

نشرت صحيفة كيهان الإيرانية في طهران بتاريخ ٣ / ١٢ / ١٤٠٧ هـ، رسالة للخميني جاء فيها: "إن الكعبة هي أفضل مكان للتظاهر وإطلاق الشعارات ضد القوى المعادية، وعلى جميع الحجاج أن يشتركوا في مسيرة البراءة ....".

وينتقل الخميني في رسالته إلى حملة هجوم مريرة وحاقدة ضد علماء المسلمين كافة في شتى أنحاء الأمة الإسلامية فيقول: إن وجود رجال الدين المزورين يشكل

خطرا على الشعوب مهددا دول الخليج، وإن إيران ستحول المنطقة إلى قطعة من نار، ويقول: إن بلاده ستواصل الحرب، وإنها لم تستخدم كل إمكاناتها لإشعالها وتصعيدها أكثر: "وإننا نريد تصدير ثورتنا إلى مختلف أنحاء العالم" [١].

ونشرت "مجلة الدستور" اللندنية [٢] وصية الخميني، جاء فيها: "أنا أعرف أن هذا الجيل – في إيران – سوف يفتح أبواب العالم كي يستقر معنا في أرجاء المعمورة، ولأننا نحتاج إلى تطهير مجتمعنا – حتى لو انتهت الحرب مع العراق – فعلينا أن نبدأ حربا أخرى في مكان آخر".

ثم يقول في وصيته: "كنت أحلم أن يعطيني الله – عز وجل – عمرا كافيا، لكي أشاهد علمنا على مشارف بغداد، وعمان، وأنقرة، والرياض، ودمشق، والقاهرة، والكويت، ومسقط، حتى كابول، وكراتشي".

وإليكم ثلاثة نماذج لصور الاضطهاد الطائفي الذي تدعمه إيران الصفوية ضد أهل السنة في العراق وسوريا ولبنان، في إطار مخطط توسعي إيراني طائفي:

أولا: العراق والحرب الطائفية ضد السنة [٣]:

الحرب الطائفية في العراق – التي تستهدف السنة تحديدا ومناطقهم ومدنهم ذات الأهمية الاستراتيجية – بدأت بالفعل، فهي تستهدف مساجد السنة، والعلماء، والخطباء، والرموز السياسية والإعلامية والاجتماعية، ومنازل عامة الناس وأعمالهم حتى بلغت حدا جنونيا، كالإجراءات التي يقوم بها الطائفيون الذين يمنحون الجنسية العراقية للإيرانيين، ويسكنونهم في مناطق عديدة في بغداد وبعض المناطق السنية، والغاية من هذه الإجراءات: تغيير الطبيعة الديموغرافية للعراق بما يناسب تعاليم المرشد الأعلى للثورة الإيرانية، إضافة إلى عملية تهجير منظمة لأهل السنة من مناطقهم، واستيلاء الشيعة على مساكنهم وممتلكاتهم، واستصدار قانون خاص بالإرهاب

---

[١] جريدة عكاظ، العدد / ٧٠٥، بتاريخ ١٤ / ١٢ / ١٤٠٧ هـ.

[٢] مجلة الدستور اللندنية ١ / ٨ / ١٩٨٣، العدد: ٢٩٧.

[٣] العراق: الحرب الطائفية ضد السنة بدأت رسميا، محمد جمل عرفة، ص/ ١.

يهدف إلى إعدام أبناء السنة المناهضين للسياسة الطائفية التي تمارسها الحكومة العراقية المدعومة من إيران.

ثانيا: النظام السوري الطائفي وهيمنته على الدولة:

المعروف أن أهل السنة في سوريا يمثلون أكثر من ٨٠٪ من مجموع الشعب السوري، والطائفة النصيرية (العلوية) تمثل ١٠٪ من مجموع السكان، والنصيرية فرقة باطنية ليس لها عقائد مشهورة سوى الاعتقاد بتأليه علي رضي الله عنه، وتأويل أركان الإسلام تأويلا باطنيا بعيدا عن ظواهرها، (فدينهم الذي يدعونه دين بلا تكاليف)، وأيضا يقولون بالتناسخ وانتقال الأرواح من جسم إلى جسم، وليس في عقيدتهم اعتقاد بحياة أخروية بعد هذه الحياة، أو اعتقاد بجنة أو نار.

والشيء الثابت في مؤلفات الشيعة الإمامية وفتاويهم: تكفير النصيرية، وأنهم ليسوا من المسلمين بالنظر إلى عقائدهم التي لا تمت إلى دين الإسلام بصلة.

ومنذ أربعة عقود – وعبر مخطط مدروس من قبل الطائفة النصيرية في سوريا وأطراف خارجية – استطاعت الطائفة الاستيلاء على قيادات الجيش السوري، وأجهزة المخابرات التي بلغت سبعة عشر جهازا، وأيضا على ثروات الدولة النفطية والعقارية والتجارية والمالية، والوظائف العليا في الدولة، وأمسكت الطائفة بمفاصل النظام الحيوية في شتى المجالات، في حين هُمِّش أهل السنة (وهم الأكثرية المطلقة)، ونالهم قمع الدولة وتسلط أجهزة الجيش والأمن، وتجفيف منابع التدين، والنشر المنظم للفساد على مدى أكثر من أربعة عقود، وأدى هذا إلى استفزاز أهل السنة ورفضهم للتسلط الطائفي البغيض الذي تمارسه السلطة الحاكمة النصيرية، وظهرت انتفاضات شعبية على الظلم والفساد، ومنها:

أ – اضطرابات حمص في منتصف ديسمبر ١٩٦٣ م.

ب – أحداث بانياس في فبراير ١٩٦٤ م.

ج – أزمة حماة في أبريل عام ١٩٦٤م.

د – أزمة الدستور (الذي حُذف منه مادة دين الدولة الإسلام) عام ١٩٧٤م.

هـ - اتفاضة حماة وبعض المدن السورية عام ١٩٨٢ م.

و – الثورة السورية الراهنة فبراير ٢٠١١م.

لم يكن لموقف علماء الشيعة الذين يكفرون النصيرية، أثر في استراتيجية الثورة الإيرانية الصفوية الجديدة، فقد بدأ التقارب بين الطائفتين بعد سقوط الشاه ووصول الخميني إلى السلطة، إذ وجد الخميني في النظام السوري النصيري (العلوي) امتدادا استراتيجيا للثورة الإيرانية لتصديرها هي والمذهب، ومصالح اقتصادية متوقعة من هذا التقارب، لاسيما وصول إيران إلى مياه البحر المتوسط، ووجد حافظ أسد في التقارب مع إيران مصلحة للطائفة النصيرية بالنظر إلى قوتها العددية والمادية ومذهبها الشيعي الذي يدين به كثيرون في العالم، فأطلق يد علماء الشيعة الإيرانيين في سوريا – ولاسيما في جبال النصيرية – ليحقق بذلك بذلك هدفا استراتيجيا لدولته الطائفية، وهو الدعم من دولة قوية ذات مذهب عقائدي وفقهي، وله حضوره على الساحة الإسلامية والدولية، وبدأت العلاقات العسكرية والاقتصادية والمذهبية تنمو وتتعاظم بين الكيانين الإيراني والسوري، حتى أصبح لإيران حضور ظاهر وممنهج على الأراضي السورية وفي شتى المجالات ومنها:

- مراكز ثقافية ومكتبات عامة.
- تملُّك مشاريع عقارية كبيرة في أرقى المناطق في العاصمة دمشق وريفها.
- إقامة المستشفيات بأسماء شيعية (مستشفى الخميني بدمشق مثلا).
- تأسيس الثانويات والكليات الشرعية (الشيعية).
- الدعم العسكري غير المحدود للنظام (بالسلاح والخبرات الفنية والاستشاريين).
- الزيارات المنظمة "للعتبات المقدسة" الشيعية في سوريا.
- العمل على النشر المنهج للمذهب الشيعي في سوريا باستغلال جهل الناس وفقرهم.
- الدعم المطلق المتبادل بين النظامين السوري والإيراني في المحافل الدولية.

وهذا جعل السلطة الإيرانية الصفوية تنظر إلى النظام السوري وبشار الأسد على أنه يمثل بعدا استراتيجيا وخطا أحمر لا مجال للمساومة عليه، وصدرت تصريحات كبار رجال الدولة الإيرانية أن الدفاع عن دمشق مقدم على الدفاع عن طهران، ودعوا الشيعية في العالم للانخراط مع النظام السوري في مواجهة أهل السنة في المنطقة، وهكذا تبلور الصراع الطائفي بين الشيعة من جانب والسنة من جانب آخر على الأراضي السورية.

ثالثا: حزب الله في لبنان:

حزب الله في لبنان تنظيم شيعي سياسي عسكري تشكّل بعد نجاح الثورة الخمينية عام ١٩٨٢م، بتعاون ممنهج بين إيران الفارسية، والنظام النصيري في سوريا.

كانت فكرة تأسيسه تقوم على أساس إيجاد دولة داخل الدولة اللبنانية، وهو حزب له تنظيمه الخاص، وجيشه وسلاحه الخاص، وجهاز اتصالاته الخاص، وله خططه التي ترمي إلى مواجهة الأكثرية السنية في لبنان، وتصفية قياداتهم ورموزهم (كاغتيال رئيس وزراء لبنان الأسبق رفيق الحريري وغيره).

شارك الحزب الشيعي بلبنان في تدريب المليشيات الشيعية في بغداد والبصرة، بل شاركت كتائبه قبل ذلك في الحرب العراقية الإيرانية (صرح بذلك الشيخ علي أكبر محتشمي سفير إيران الأسبق لدى سوريا، ووزير الداخلية الإيراني السابق)، ويقول الشيخ صبحي الطفيلي مؤسس حزب الله اللبناني، والأمين العام الأسبق للحزب، في حوار له مع جريدة الشرق الأوسط: إن حزب الله تحول إلى حرس حدود لإسرائيل [١].

أما موقف حزب الله من المواجهة الدائرة بين النظام النصيري والشعب السوري الثائر، فقد دخل حزب الله عسكريا بخمسة عشر ألف جندي من النخبة إلى جانب النظام السوري بالتنسيق مع إيران والنظام، ليشارك النظام في المجازر الجماعية والقتل

---

[١] جريدة الشرق الأوسط، العدد ٩٠٦٧، الخميس ٢٥ / ٩ / ٢٠٠٣م، ويقول: إن إيران خطر على التشييع في العالم ورأس حربة للمشروع الأمريكي.

والاغتصاب والسرقات والقمع، وقد صرح حسن نصر الله زعيم الحزب بأنهم باقون في سوريا ما دامت الأسباب قائمة.

نظرة واقعية للصراع الطائفي بين السنة والشيعة [1]:

لو نظرنا إلى نسبة السنة والشيعة اليوم في العالم، لوجدنا أن السنة يمثلون في الأمة الإسلامية ٩٠٪، وأما الشيعة فلا تتجاوز نسبتهم ١٠٪، فهم طائفة مقابل أمة، وليسوا طائفة مقابل طائفة، ولا أمة مقابل أمة، (وإن تلاعب بعض الشيعة بهذه النسبة فضاعفها ليزيدوا نسبتهم مقابل أهل السنة)، ومع قلة عددهم، عاشوا مع أهل السنة بسلام وأمن وأمان، بالرغم من خلافهم العقائدي مع أهل السنة.

ومعلوم مذهب الشيعة في تكفير وتضليل الصحابة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين، ولهم مخالفات كفرية أخرى، كقولهم بتحريف القرآن، واعتقادهم على الأئمة للغيب، وتصرفهم في الكون، وتضرعهم واستعانتهم بهم.

وموقف أهل السنة منهم: أنهم يفرّقون بين القول أو الذنب الذي سماه الشارع كفرا صريحا، وبين الشخص المعين، فهم وإن حكموا على الذنب أو القول بالكفر باعتباره حكم الشرع، لكنهم لم يحكموا على الشخص المعين بالكفر ولم يبيحوا دمه إلا بعد توفر شروط التكفير وانتفاء موانعه، وهذا اعتقاد أهل السنة في كل من وقع في شيء من هذه العقائد أو الأقوال المكفرة، شيعيا كان أم سنيا.

أما القتل والقتال والاعتداء على الشيعة، فلا يعرف عن ولاة أمر المسلمين السنة أنهم أمروا بالعدوان على الشيعة أو قتالهم لتشيعهم.

وعندما طُرح مشروع التقارب بين السنة والشيعة في الخمسينيات من القرن الماضي – والتي أطلقها الشيعة لا السنة – رحّب به بعض أهل السنة المخلصين من أجل تقريب الفجوة بين الجانبين، سعيا لتحقيق وحدة الكلمة وجمع الصف.

---

[1] انظر: الشيعة وسلاح الطائفية، د. لطف الله خوجة، ص ٣، بتصرف.

وتبين بعد جولات من اللقاءات، أن الشيعة يهدفون إلى انتزاع اعتراف سني بالطائفة الشيعية وتبشير السنة بدعوتهم إلى التشيع، ففشل الحوار وتراجع عنه عامة من شارك فيه.

ويمكن إجمال موقف أهل السنة من الشيعة بأنه موقف تعايش وتعاون واستقرار أمني، وأهل السنة يفعلون ذلك مع اليهود والنصارى وكافة أتباع الملل غير المحاربين، وقد أصبح مقررا عند أهل السنة أن ما بيننا وبين الشيعة هو التعايش لا التقارب، بعيدا عن الاحتراب وسفك الدماء.

الخلاصة:

إن الأمة الإسلامية تعيش اليوم الفتنة والتفرق، والانقسام والتعصب الطائفي، وواضح أننا في الطريق إلى شرق أوسط رهيب، سقطت فيه تجربة التعايش بين المكونات المختلفة (لاسيما السنة والشيعة)، وهو ما يُنذر بتمزق الدول والخرائط.

ويرى الباحث أن الخروج من هذه الأزمة يقتضي أن يلتقي العقلاء من كل طرف لوضع برنامج لخطة عمل مشتركة تهدف إلى التقليل من وتيرة التعصب والانغلاق الإيديولوجي وأسلوب التعامل مع الطرف الآخر، والتعايش السلمي المشترك، ويرى أن استبعاد فكرة التقارب لا يعني إغلاق باب التواصل العلمي والثقافي حول المسائل الخلافية المذهبية للانطلاق إلى علاقة أمثل، تقوم على:

١. العودة إلى المرجعية التي يؤمن بها كل مسلم على اختلاف مذهبه وتوجهه الفكري: القرآن الكريم، والسنة المطهرة.
٢. الاتفاق على صيغة لقواعد الاستدلال تكون منطلقا لكل الأطراف المتنازعة.
٣. انتهاج أسلوب الحوار البناء بشروطه المعروفة كأسلوب للتعامل والجدال للوصول إلى نتائج مثمرة، إما بالاتفاق أو على أقل تقدير أن يفهم بعضنا بعضا بصورة أفضل، وبالتالي ننتقل من مرحلة العداوة الحادة إلى مرحلة التفاهم والتعايش السلمي بين مكونات المجتمع المختلفة، والله أعلم.

❖❖❖

الموظف المنسوب لهيئة إسلامية
أهم ما يتحلى به من صفات

(٢-٢)

حسني شيخ عثمان

سلبيات ينبغي التخلي عنها لمن اتصف بالإسلام:

وهناك صفات ومظاهر ذميمة ينبغي أن يتحاشاها المسلم، ومنسوب لهيئة إسلامية أحق من غيره بتحاشيها.

يبتدأ بذكر أعظمها وأكبرها في النظرة الإسلامية وهي: الكبر.

الكبر

في الحديث الذي يروي وصية نوح عليه السلام لابنه "وأنهاك عن الشرك والكبر".

فقيل: يا رسول الله، هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر؟ هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها؟

قال: فهو أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان؟

قال: لا.

قال: فهو أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟

قال: لا.

قال: فهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟

قال: لا.

قال: يا رسول الله، فما الكبر؟

قال: سفه الحق وغمص الناس" [1].

[1] الأدب المفرد، للبخاري، ج ٢ ، ص ٥، "صحيح".

وفي الحديث عن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي صلى الله عليه وسلم "من تعظّم في نفسه أو اختال في مشيته لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان" [١].

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما استكبر من أكل مع خادمه، وركب الحمار بالأسواق، واعتقل الشاة فحلبها" [٢].

وفي الحديث القدسي الذي رواه أبو سعيد الخدري وأبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل "العز إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني بشيء منهما عذبته" [٣].

العجز والكسل والجبن والبخل

وهي صفات ذميمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ منها، فكان يكثر أن يقول "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال" [٤].

تتبع أسرار المسلمين

عن مجاهد قال: كان يكره أن يحد الرجل النظر إلى أخيه أو يتبعه بصره إذا قام من عنده أو يسأله من أين جئت وأين تذهب [٥].

الضحك والقهقهة

من الصفات التي نهى الإسلام المسلمين عنها كثرة الضحك والقهقهة. ففي حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال النبي صلى الله عليه وسلم "أقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب" [٦].

---

[١] الأدب المفرد، للبخاري، ج ٢ ، ص ٩، "صحيح".

[٢] الأدب المفرد، للبخاري، ج ٢ ص ٨، صحيح الجامع: ٥٥٢٧.

[٣] الأدب المفرد، للبخاري، ج ٢ ، ص ٩، "صحيح".

[٤] صحيح البخاري، ج ٨ ، ص ٩٧.

[٥] الأدب المفرد، للبخاري، ج ٢ ، ص ٣٤٠.

[٦] الأدب المفرد، للبخاري، ج ١ ، ص ٣٥١، "حسن".

والمنهي عنه من الضحك ما كان قهقهة بصوت مرتفع .. وإلا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضحك، وكان جُلُّ ضحكه التبسم، وكان إذا بالغ في الضحك قيل فيه: ضحك حتى بدت نواجذه.

الفحش والصياح والطعن واللعن

في حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله لا يحب الفاحش والمتفحش ولا الصياح في الأسواق" [١].

وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم "ليس المؤمن بالطعان واللعان ولا الفاحش ولا البذيء" [٢].

العيب والتعجل في إفشاء الأسرار

وكان علي – رضي الله عنه – يقول "لا تكونوا عُجُلا، مذاييع، بُذرا، فإن من ورائكم بلاء مُبرّحا مكلحا، وأمورا متماحلة ردحا" [٣].

والمذياع: هو الذي يقوم بإشاعة الفاحشة بالحديث عنها.

والبُذر: هم الذين لا يستطيعون أن يكتموا الأسرار، أي المفشون للإسرار.

والبلاء المبرّح: المجهد والمؤذي أذى شديدا.

والمكلح: الذي يجعل الناس كالحة ألوانهم من شدة الجهد والبلاء.

والأمور المتماحلة: أي الفتن طويلة الأمد (والمتمالح من الرجال الطويل).

والرُّرح: المثقلة الثقيلة (والرداح هوالجمل المثقل حملا، لا انبعاث له من ثقل الحمل).

التمادح

مر عند الحديث عن إفشاء السلام بين المسلمين وتمكين الحب في الله وإظهار هذا الحب للمسلمين وذكره لأخيه، ما جاء في حديث المقدام بن معديكرب – رضي

---

[١] الأدب المفرد، للبخاري، ج١ ، ص ٤٠٩، ضعيف".

[٢] الأدب المفرد، للبخاري، ج ١ ، ص ٤٣٤، صحيح الجامع: ٥٣٨١.

[٣] الأدب المفرد، للبخاري، ج ١ ، ص ٤٣١، صحيح الإسناد".

الله عنه – قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم "إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه أحبه" [١].

وعن مجاهد قال: لقيني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بمنكبي من ورائي.

قال: أما إني أحبك.

قلت: أحبك الذي أحببتني له.

فقال: لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إذا أحب الرجل الرجل فليخبره أنه أحبه" ما أخبرتك [٢].

إن إفشاء الحب في المجتمع الإسلامي، والأمر بإظهاره بين المتحابين في الله، غير التمادح الذي نهى عنه الشرع. فقولك لرجل: إني أحبك في الله، يختلف عن قولك له: أنت رجل صالح تقي. (والتمادح: المبالغة في المدح. وكذلك هو: المدح في وجه الممدوح). ففي الحديث الذي رواه أبو بكرة – رضي الله عنه – أن رجلا ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأثنى عليه رجل خيرا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم "ويحك قطعت عنق صاحبك" (يقولها مرارا). "إن كان أحدكم مادحا لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا – إن كان يرى أه كذلك – وحسيبه الله، ولا يزكي على الله أحدا" [٣].

وعن أسلم مولى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كنا جلوسا عند عمر، فأثنى رجل على رجل في وجهه.

فقال: عقرت الرجل عقرك الله [٤].

وفي حديث زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر يقول "المدح ذبح" قال محمد: [٥] يعني: إذا قبلها.

---

[١] الأدب المفرد، للبخاري، ج ١ ، ص ٦٣٥، "صحيح".

[٢] الأدب المفرد، للبخاري، ج ١ ، ص ٦٣٦، "حسن صحيح".

[٣] الأدب المفردب، للبخاري، ج ١ ، ص ٥٣٥، "صحيح".

[٤] الأدب المفرد، للبخاري، ج ١ ، ص ٥٣٧، "حسن الإسناد".

[٥] الأدب المفرد، للبخاري، ج ١ ، ص ٥٣٧، "صحيح الإسناد".

وقام رجل يثني على أمير من الأمراء، فجعل المقداد بن عمرو – رضي الله عنه – يحثي في وجهه التراب، وقال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحثي في وجه المدحين التراب [١].

وكذلك مدح رجل رجلا عند ابن عمر – رضي الله عنهما – فجعل ابن عمر يحثو التراب نحو فيه، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب" [٢].

وهذا غير الثناء على من يستحق الثناء وهو آمن أن لا يبطره الثناء، ففي حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو عبيدة. نعم الرجل أسيد بن حضير، نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس، نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح، نعم الرجل معاذ بن جبل" [٣].

الكذب وإخلاف الوعد

في حديث سفيان بن أسيد الحضرمي – رضي الله عنه – أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "كبرت خيانة أن حدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت له كاذب" [٤].

وفي حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه" [٥].

ومن الصفات الذميمة في موظف منسوب للإسلام ولهيئة إسلامية أن يعد مسلما ويمنيه بتمام عمل أو معاملة، ثم يجيئه صاحب الحاجة في الموعد فيجده لم يتمها.

هي صفة ذميمة يستحيي منها موظف في مصرف ربوي فكيف بمن انتسب إلى هيئة إسلامية في اسمها، ترفع لواء الإسلام وتعمل نصرته.

---

[١] الأدب المفرد، للبخاري، ج ١ ، ص ٥٣٧ ، "صحيح".
[٢] الأدب المفرد، للبخاري، ج ١ ، ص ٤٣٣ ، "صحيح".
[٣] الأدب المفرد، للبخاري، ج ١ ، ص ٥٣٨ ، "صحيح".
[٤] الأدب المفرد، للبخاري، ج ١ ، ص ٤٨٤، "ضعيف".
[٥] الأدب المفرد، للبخاري، ج ١ ، ص ٤٨٥، "ضعيف".

السباب

عن عياض بن حمار [١] – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أخذ ولا يفخر أحد على أحد.

فقلت: يا رسول الله، أرأيت لو أن رجلا سبني في ملأهم أنقص مني فرددت عليه هل عليّ في ذلك جناح؟

قال: المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان" [٢].

وفي حديث سعد بن مالك – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال "سباب المسلم فسوق" [٣].

وعن أنس رضي الله عنه: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا لعانا ولا سبابا.

كان يقول عند المعتبة "ماله؟ تَرِبَ جبينه" [٤].

وترب جبينه: كلمة جرت على لسان العرب، لا يريدون بها الدعاء على المخاطب نحو (لله درّك).

ويمكن أن يكون دعاء له بالطاعة وأفضلها الصلاة التي يتعفر الجبين بالتراب من جرائها إذا صلى على الصعيد الطيب.

---

[١] كان العرب الجاهليون يسمون أبناءهم بأسماء الحيوانات أو بعض الظواهر الطبيعية تفاؤلا بأهم الصفات التي يحمدونها فيها، (قال الجاحظ) "والعرب إنما كانت تسمى بكلب وحمار وحجر .. على التفاؤل بذلك .. فإن سمع إنسانا يقول حجرا، ورأى حجرا سمى ابه به وتفاءل فيه الشدة والبقاء والصبر، وأنه يحطم ما لقي .. وإن كان حمارا، تأول فيه طول العمر، والوقاحة، والقوة والجلد، وإن كان كلبا تأول فيه الحراسة، واليقظة، وبعد الصوت والكسب وغير ذلك" كتاب الحيوان، للجاحظ، ج ١ ن ص ١٧٨، يقال: حافر وقاح، أي صلب.

[٢] الأدب المفرد، للبخاري، ج ١ ، ص ٥١٥، "صحيح".

[٣] الأدب المفرد، للبخاري، ج ١ ، ص ٥١٧ ، "صحيح".

[٤] الأدب المفرد، للبخاري، ج ١ ، ص ٥١٨ ، "صحيح".

التباغض والتحاسد والتدابر والهجر

في حديث أنس – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا. ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال" [١].

وفي حديث هشام بن عامر – رضي الله عنه – أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "لا يحل لمسلم يصارم مسلما فوق ثلاث ليال فإنهما ما صارما فوق ثلاث ليال فإنهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما. وإن أولهما فيئا يكون كفارة له سبقه بالفيء، وإن هما ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة جميعا أبدا" [٢].

وأخيرا

فإن ما قدم في هذه العجالة كان مقتطفات مما ندب إليه الإسلام المسلمين أن يتخلقوا به مما يجمل بكل مسلم أن يتحلى به لتكتمل صفات إيمانه، ومن عجز عن كل هذه الكمالات مجتمعة لا يعجز عن جلها، وإن صعب عليه التحلي بأكثرها، فليحاول أن يأخذ منها ما يسهل، ويتدرج في الأخذ بها جميعا، حلية بعد حلية.

وما قدم في هذه العجالة كان ذكرى والذكرى تنفع المؤمنين، وأحق الناس بالذكرى هو المذكّر، فإن قصرت في بعض العمل فإنما أنا ناقل، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل خير إلى من هو أخير.

وأسأل الله العظيم لي ولكم أن يلهمنا الرشد في القول والعمل وأن يعملنا ما ينفعنا وينفعنا بما يعلمنا، وأن يجنبنا مواطن الزلل، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. فهو سبحانه الذي إذا دعي أجاب .. والحمد لله رب العالمين.

***

[١] الأدب المفرد، للبخاري، ج ١ ، ص ٤٩١، "صحيح".

[٢] الأدب المفرد، للبخاري، ج ١ ، ٤٩٩، "صحيح".

علم التجويد

تعريفه وأهميته وواضعه وأهم المصنفات فيه

د. محمد خالد منصور

أولا: تعريف علم التجويد:

التجويد مصدر من جَوَّد تجويدا، وهو التحسين، إذا أتى بالقراءة مجَوَّدة الألفاظ بريئة من الجور في النطق بها، ونعني به: انتهاء الغاية في إتقانه، وبلوغ الغاية في تحسينه، ولهذا يقال: جود فلان في كذا: إذا فعل جيدا، والاسم منه: الجَودَة.

وهو حلية التلاوة، وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقها، وترتيبها مراتبها، ورد الحرف إلى مخرجه، وأصله، وإلحاقه بنظيره، وإشباع لفظه، وتلطيف النطق به على حال صيغته، وهيئته، من غير إسراف، ولا تعسف، ولا إفراط، ولا تكلف، ولذلك قال الإمام الداني: "ليس بين التجويد، وتركه إلا رياضة لمن تدبره بفكه" [١].

ولذلك قال بعض العلماء: "ليس التجويد بتمضيغ اللسان، ولا بتلويك الفم، ولا الفك، ولا بتغيير الصوت، ولا بتمطيط الشد، ولا بتطنين النونات، ولا بحصرمة الراءات، فهذه قراءة تنفر عنها الطباع، وتمجها القلوب والأسماع، والقراءة الطلوبة هي الموافقة السهلة العذبة اللطيفة التي لا مضغ فيها، ولا لوك، ولا تعسف، ولا تصنع، ولا تكلف، ولا تخرج عن طباع العرب، وكلام الفصحاء بوجه" [٢].

وما أجمل ما قال الإمام الخاقاني في رائيته:

زِنِ الحرف لا تخرجه عن حد وزنه   فوزن حروف الذكر من أفضل البر [٣]

---

[١] ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تحقيق الدكتور، علي حسين البواب، ص: ٤٧، والشيخ ابن يالوشة التونسي، الفوائد المفهمة في شرح المقدمة الجزرية، ص: ٧.

[٢] ابن يالوشة التونسي، الفوائد المفهمة، ص: ٢٠ – ٢١.

[٣] أبو مزاحم الخاقاني، المتوفى سنة خمس وعشرين وثلاث مائة للهجرة، ص: ٢٣، تحقيق د. عبد العزيز عبد الفتاح القاري.

وفي ذلك يقول الحافظ الإمام ابن الجزري في مقدمته:

وهو أيضا حلية التلاوة وزينة الأداء والقراءة [١]
وهو إعطاء الحروف حقها من كل صفة لها ومستحقها [٢]
ورد كل واحد لأصله واللفظ في نظيره كمثله [٣]
مكملا من غير ما تكلف باللفظ في النطق بلا تعسف
وليس بينه وبين تركه إلا رياضة امرئ بفكه [٤]

فالتجويد كما هو واضح من نظم الإمام ابن الجزري: "إعطاء الحروف حقها من صفاتها السابقة ذاتية كانت أم عرضية، ومستحقها مما ينشأ عن صفاتها الذاتية مع بلوغ الغاية والنهاية في إتقانها وتحسنها وخلوها من الزيادة والنقص" [٥].

ولذا، فيمكن تعريف علم التجويد بأنه: "علم بقواعد وأحكام لكيفية النطق بالكلمات القرآنية على الكيفية التي أنزلت بها على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

---

[١] الفرق بين التلاوة، والأداء، والقراءة: أن التلاوة قراءة القرآن متتابعا كالأوراد والأثمان والأحزاب، والمدارسة والأداء هو الأخذ عن الشيوخ، والتلقي عنهم، والقراءة أعم منهما، فهي تشمل التلاوة، والتلقي عن المشايخ ، والتجويد على ذلك يشتمل الثلاثة المتقدمة، وهي التلاوة، والأداء، والقراءة، والحق كما قال الشيخ ابن يالوشة التونسي نقلا عن الحلبي: أن الأداء القراءة بحضرة الشيوخ عقب الأخذ من أفواههم، لا الأخذ نفسه، وانظر: ابن يالوشة التونسي، الفوائد المفهمة، ص: ٢٠، والمرصفي، هداية القاري، ص: ٤١.

[٢] الفرق بين حق الحروف ومستحقها: أن حق الحرف هو إعطاؤها ما تستحقه من الصفات الثابتة اللازمة لها، كالجهر، والشدة، والاستعلاء، فهي صفات لازمة لذوات الحروف غير منفكة عنها، وإذا انفكت صفة منها، فتكون لحنا جليا في بعض الصفات، ولحنا خفيا في البعض الآخر، ومستحق الحروف ما ينشأ عن تلك الصفات الذاتية اللازمة، كالتفخيم، فإنه ناشيء من الاستعلاء، والتكرير، والترقيق، فإنه ناشيء عن الاستفال ... وانظر: محمد مكي نصر، نهاية القول المفيد في علم التجويد، ص: ١١، وعبد الرزاق موسى، الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية، ص: ٤٤.

[٣] أي: ورد كل حرف إلى أصل مخرجه ومع الإتيان بصفاته التي يستحقها، وإذا قرأتها مرة أخرى، فلابد من لفظ الحرف إذا كررته كما لفظته أول مرة، كالقاف مثلا، فإذا نطقت به أول مرة، فتأتي بالصفات المستحقة له، وإذا كررته فتأتي بالحرف وصفاته على الكيفية الأولى، وهكذا، وانظر: ابن يالوشة التونسي، الفوائد المفهمة، ص: ٢٠، والمرصفي، هداية القارئ، ص: ٤١.

[٤] ابن الجزري، المقدمة الجزرية، ضمن أمهات متون علوم التجويد، ص: ٥.

[٥] عبد الرزاق موسى، الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية، ص: ٥١.

فمسائل علم التجويد هي قواعده التي انبنى عليها، من أحكام الاستعاذة، والبسملة، والنون الساكنة والتنوين، والمدود، وغيرها.

كما أن علم التجويد، علم ينبني على الممارسة والتطبيق، والأخذ من أفواه المشايخ، فإن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول، ولا يتأتى هذا إلا بالتلقي، والمشافهة عن القراء.

قال العلامة الضباع: "والحاصل أنه لابد من التلقي من أفواه المشايخ الضابطين المتقنين، ولا يعتمد الأخذ من المصاحف بدون معلم أصلا، ولا قائل بذلك .... وحينئذ فأخذ القرآن من المصحف بدون موقف لا يكفي، بل لا يجوز، ولو كان المصحف مضبوطا" [1].

ثانيا: أهمية علم التجويد:

تظهر أهمية علم التجويد في الأمور التالية:

الأمر الأول: أنه طريق لصون اللسان عن اللحن في لفظ القرآن الكريم حال الأداء.

الأمر الثاني: أنه طريق لتدبر معاني كتاب الله عز وجل، والتفكر في آياته، والتبحر في مقاصده، تحقيقا لقوله تعالى: {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب} (ص: ٢٩).

وتحقيق الأمرين السابقين إنما يكون بتحقيق الألفاظ وتحسينها، فإن الألفاظ إذا أجليت على الأسماع في أحسن وأحلى جهات النطق بها، كان تلقي القلوب لها أبلغ، وكان إقبال النفوس عليها بمقتضى زيادتها في الحلاوة والحسن، فيحصل حينئذ الامتثال لأوامره، والانتهاء عن مناهيه، والرغبة في وعده، والرهبة من وعيده، والارتجاء بتخويفه، والتصديق بخبره، والحذر من إهماله، ومعرفة الحلال والحرام، وتلك نعمة عظيمة.

---

[1] تذكرة الإخوان، ص: ١٠.

ولذلك شرع الإنصات إلى قراءة القرآن في الصلاة وفي غيرها، ولذلك وضع العلماء علم الوقف والابتداء للوقوف على الكلام التام، وذلك لما له من فائدة في سرعة وصول المعاني إلى العقول والأفهام [١].

كما لا يخفى أن قراءة القرآن مجودا هو تحقيق لأمر الله عز وجل: {ورتل القرآن ترتيلا} (المزمل: ٤).

الأمر الثالث: أنه طريق لتقويم اعوجاج اللسان، وتدريبه على النطق بالعربية الفصحى، وفي هذا إحياء للغة العربية، وفيه حث على تعلمها، فكثير من مباحث علم التجويد، والقراءات هي مباحث لغوية كالبحث في همزتي الوصل والقطع، والإمالة، وغيرها، ولا يتم فهمها والعمل بها إلا بالتمرس في اللغة، نحوا، وصرفا، ولله در القائل:

لقد يدعي علم القراءة معشر وباعهمو في النحو أقصر من شبر

فإن قيل: ما إعراب هذا ووجهه رأيت طويل الباع يقصر عن فِتْر [٢]

ثالثا: واضعه:

أولا: واضع علم التجويد من الناحية العملية:

علم التجويد في أصله، وكيفيته، وحي من عند الله تبارك وتعالى، فقد نزل القرآن على قلب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم عن طريق المَلَك جبريل – عليه السلام – مرتلا مجودا كما تلقاه من رب العزة بلا زيادة ولا نقصان، وهكذا تلقاه الصحابة الكرام، ومن بعدهم إلى يومنا هذا.

قال الشيخ المرصفي: "أما الواضع له من الناحية العملية، فهو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه صلى الله عليه وسلم نزل عليه القرآن من عند الله مجودا، وتلقاه صلوات الله وسلامه عليه من الأمين جبريل – عليه السلام – كذلك، وتلقته عنه الصحابة – رضي الله عنهم - ، وسمعته من فيه الشريف، وتلقاه من الصحابة

---

[١] ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، ص: ٤٥ – ٤٦، والمرصفي، هداية القارئ، ص: ٣٨.

[٢] إبراهيم عطوة عوض، مقدمة إبراز المعاني شرح الشاطبية، ص: ١٣، وانظر ابن يالوشة التونسي، الفوائد المفهمة، ص: ٧.

التابعون، وهكذا إلى أن وصل إلينا عن طريق شيوخنا متواترا، ولا ينكر هذا إلا مكابر، أو معاند [١].

ثانيا: واضع علم التجويد من الناحية النظرية:

اختلف العلماء في واضع علم التجويد من الناحية النظرية، بمعنى: من أول من وضع قواعده وأحكامه، فقيل: أبو الأسود الدُؤَلي، وقيل: الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقيل: أبو عبيد القاسم بن سلام، وقيل غير ذلك [٢].

والذي يبدو لي أن كل قول من الأقوال السابقة يمثل مرحلة من مراحل وضع العلم النظري للتجويد، فقد ابتدأ اللبنة الأولى أبو الأسود الدؤلي، وثناها الفراهيدي، ثم أول من نظم في علم التجويد الخاقاني، ثم قام مكي بن أبي طالب بوضع أول مصنف نثري في علم التجويد.

رابعا: المصنفات في علم التجويد [٣]:

بدأ علم التجويد منثورا متفرقا في كتب القراءات، كما أن مباحثه وأصوله ومسائله كانت متداخلة في ثنايا كتب اختلاف القراء [٤]، ثم أفرد هذا العلم بمصنفات خاصة به، وقد صنف في هذا الفن مصنفات كثيرة، وسأقوم فيما يلي بتعداد أهم هذه المصنفات غير حاصر لها، علما بأنني سأقتصر على المطبوع منها، وذلك على النحو التالي:

---

[١] هداية القارئ، ص: ٣٨.

[٢] المرصفي، هداية القارئ، ص: ٣٨.

[٣] قام باستقصاء المصنفات والمؤلفات في علم التجويد الدكتور غانم قدوري الحمد في أطروحته للدكتوراه، والتي كانت بعنوان: "الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، فقد أوصل المصنفات القديمة إلى تسعة وأربعين مصنفا ما بين مطبوع ومخطوط، وقيد ذلك ما بين القرن الرابع، وهو بداية التأليف في هذا العلم، وأوخر القرن الثالث عشر من الهجرة النبوية الشريفة، وذكر كذلك جملة من المصنفات الحديثة ذكرا سريعا، وانظر: الدكتور غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٢٣ – ٥٩.

[٤] من تقريظ الدكتور حازم الكرمي لكتاب: "الفوائد التجويدية في شرح المقدمة الجزرية حيث ذكر في عجالة نشأة علم التجويد، ومراحله وأطواره التي مر بها، مركزا على تاريخ المقدمة الجزرية تأليفا، وشرحا، والدكتور حازم كعادته محقق مدقق فيما يكتب، وفيما ينقل من كلام أهل العلم، وانظر: الفوائد التجويدية، ص: ٥ – ٧.

١ – رائية أبي مزاحم الخاقاني المتوفى سنة خمس وعشرين وثلاث مائة، وهو أول من صنف في علم التجويد، وهي أول ما نظم في هذا العلم، وعلى ذلك فيكون بداية النظم في هذا العلم في أواخر القرن الثالث الهجري تقريبا.

٢ – وقد استقصى الدكتور عبد العزيز عبد الفتاح القارئ ما نظم في علم التجويد، فلم يعثر على أقدم من هذا النص [١].

٣ – نونية علم الدين السخاوي، المتوفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة، والمسماة: "عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة التجويد" [٢].

٤ – "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة"، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني ثم القرطبي (ت: ٤٣٧هـ)، وهو مطبوع [٣].

٥ – "التمهيد في علم التجويد، لإمام الحفاظ، وخاتمة المحققين، محمد بن محمد بن محمد بن الجزري الشافعي (ت: ٨٣٣) [٤].

٦ – المقدمة فيما على قارئ القرآن أن يعلمه، وتعرف بالمقدمة الجزرية، وهي نظم يتألف من (١٠٧) أبيات، ومطلعها:

يقول راجي عفو رب سامع — محمد بن الجزري الشافعي
وبعد فإن هذه مقدمة — فيما على قارئه أن يعلمه

وقد أرست مقدمة ابن الجزري قواعد علم التجويد، وحددت معالمه وأطره في أربع حلقات: مخارج الحروف، وصفاتها، والمسائل التجويدية، والوقف والابتداء [٥].

هذا، وإن المقدمة الجزرية من أشهر كتب التجويد في العصور المتأخرة، وأكثرها تداولا، وقد شرحت شروحا عدة، وسأذكر أهم المطبوع منها على النحو التالي:

---

[١] الدكتور عبد العزيز القارئ، قصيدتان في تجويد القرآن، ص: ٩.

[٢] الدكتور عبد العزيز القارئ، قصيدتان في تجويد القرآن، ص: ٣٦.

[٣] طبع في دار المعارف للطباعة بدمشق، ١٩٧٣م، تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات.

[٤] حققه الدكتور حسين البواب، طبع مكتبة المعارف الرياض، ١٩٨٥م، وطبع في مصر ١٩٠٨، وأعاد تحقيقه الدكتور غانم قدوري كما أفاد هو في كتابه: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص: ٣٥.

[٥] تقريظ الدكتور حازم الكرمي لكتاب الفوائد التجويدية، ص: ٧.

أ – "الحواشي المفهمة في شرح المقدمة" لأبي بكر أحمد بن محمد الجزري، ولد المؤلف (ت: ٨٣٥) [١].

ب – الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية، للشيخ خالد بن عبد الله الأزهري، (ت: ٩٠٥هـ) [٢].

ج – "الدقائق المحكمة في شرح المقدمة" للقاضي زكريا بن محمد الأنصاري (ت: ٩٢٦هـ) [٣].

د – المنح الفكرية على متن الجزرية، لعلي بن سلطان محمد القاري (ت: ١٠١٤)[٤].

هـ - وتتابع التأليف بعدها في هذا الفن ما بين مطول ومتوسط ومختصر.

وبعد، فإن وضع هذه القواعد ضرورة من ضرورات حفظ كتاب الله عز وجل، بعدما تفشت العجمة، وانتشر اللحن، وخُشي على كتاب الله عز وجل من اللحن في تلاوته.

وكان وضع هذا الفن من باب المصالح المرسلة عن النص الجزئي، ذلك أنه لم يرد نص جزئي في وجوب وضع قواعد خاصة لهذا العلم، ولكن النصوص العامة الدالة على وجوب صيانة وحفظ كتاب الله عز وجل هي التي استند إليها الأئمة في وضع هذا العلم، وكما هو مقرر عند علماء الأصول: فإنه ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب [٥].

❖❖❖

---

[١] طبع بالمطبعة الميمنية بمصر، ١٣٠٩ هـ.

[٢] طبع بمطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر، مع متن الجزرية، (د. ت).

[٣] طبع بمطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر، مع متن الجزرية، ١٩٥٦هـ، وعليه عدة حواش، ومنها: حاشية زين العابدين بن محي الدين الأنصاري، وحاشية أبي الضياء نور الدين علي بن علي الشبراملسي القاهري، وحاشية أبي النصر عبد الرحمن النحراوي، وغيرها.

[٤] طبع بالمطبعة الميمنية بمصر، ١٣٢٢ هـ.

[٥] د. محمد موسى نصر، القول المفيد في وجوب التجويد، ص: ١٢.

أدب الصيام

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد، وآله وصحبه أجمعين. وبعد:

فهذه كلمة موجزة في آداب الصيام وأحكامه، أريد أن أقدمها بين يدي القاريء الكريم ليعرف جيدا آداب وسنن الصيام، حتى يكون صيامه وقيامه وفق طريقة النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه، التي أرشد أمته إليها، ويكون مقبولا عند الله، مثابا عليه. وإني إنما بسطت القول في آداب وأحكام الصيام لكونه ركنا عظيما من أركان الدين الخمسة، التي يبتني عليها الإسلام، وليكون القاريء على معرفة بها وبصيرة منها.

وإني قبل أن أبدأ بالمقصود أود أن أذكر كلاما نافعا – إن شاء الله – مشتملا على: معنى الصيام لغة وشرعا، ووجوبه، والصوم المشروع، وفرضية الصوم، ومقاصد الصيام في الإسلام، والصوم عبر التاريخ، وفضل شهر رمضان، وفضيلة الصيام وكرامة الصائمين، وغير ذلك مما يفيد القراء الميامين، فأقول وبالله التوفيق والعصمة.

معنى الصيام لغة وشرعا:

الصيام في اللغة: الإمساك، يقال: صام النهار، إذا وقف سير الشمس، قال الله تعالى إخبارا عن مريم: {إني نذرت للرحمن صوما} (مريم: ٢٦) أي صمتاً لأنه إمساك عن الكلام، وقال الشاعر:

خيل صيام وخيل غير صائمة
تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

يعني بالصائمة الممسكة عن الصهيل.

والصوم في الشرع عبارة عن الإمساك عن أشياء مخصوصة في وقت مخصوص. [١]

وجوبـه:

وصوم رمضان واجب، والأصل في وجوبه الكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فقول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم} إلى قوله: {فمن شهد منكم الشهر فليصمه}. (البقرة: ١٨٣، ١٨٥)

وأما السنة فقول النبي صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس، - من الحديث المتفق عليه – وذكر منها صوم رمضان" [٢].

وأجمعت الأمة على وجوب صيام رمضان، وأنه أحد أركان الإسلام، التي علمت من الدين بالضرورة، وأن منكره كافر مرتد عن الإسلام. [٣]

الصوم المشروع:

والصوم المشروع هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس. [٤]

فرضية الصوم:

كان فرض الصوم في السنة الثانية من الهجرة . [٥]

من مقاصد الصيام في الإسلام:

إن من مقاصد الصيام في الإسلام اتقاء المحارم والمعاصي، واجتناب الذنوب والآثام، كماشهد بذلك القرآن: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون}. يستطيع العبد المسلم الصائم أن يبلغ أعلى قِمة من التقوى والورع والعفة والطهارة، وأسمى ذروة من الاستقامة والصلاح، والأمانة والصدق والحياء والمروءة.

---

[١] المغني لابن قدامة: ٤ / ١١٥، طبع دارالحديث، القاهرة.

[٢] المغني: ٤ / ١٥٥.

[٣] فقه السنة، ص: ٢٥٤.

[٤] المغني: ٤ / ١١٧.

[٥] سبل السلام: ٢ / ٦٤١، طبع الهند.

يقول الشاه ولي الله الدهلوي عن بعض أسرار الصيام في كتابه: "والصوم حسنة عظيمة يقوي الملكية، ويضعف البهيمية، ولا شيء مثله في صيقلة وجه الروح، وقهر الطبيعة، ولذلك قال الله تعالى: "الصوم لي وأنا أجزي به"، ويكفّر الخطايا بالقدر ما اضمحلّ من سورة البهيمية، ويحصل به تشبه عظيم بالملائكة، فيحبونه فيكون متعلق الحب أثر ضعف البهيمية، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك". [1]

الصيام عبر التاريخ:

إن الصوم من سنن المرسلين عليهم الصلاة والسلام، وكانوا يصومون. كما قال الشاه ولي الله الدهلوي: "واختلفت سنن الأنبياء عليهم السلام في الصوم، فكان نوح عليه السلام يصوم الدهر، وكان داود عليه السلام يصوم يوما ويفطر يوما، وكان عيسى عليه السلام يصوم يوما ويفطر يومين أو أياما، وكان النبي صلى الله عليه وسلم في خاصة نفسه يصوم حتى يقال: لا يفطر، ويفطر حتى يقال: لا يصوم، ولم يكن يستكمل صيام شهر إلا رمضان". [2]

ونجد كذلك في كتب الحديث أن سيدنا ونبينا موسى عليه السلام صام اليوم الذي نجّاه الله وقومه فيه، وأغرق فرعون وقومه شكرا، وكان ذلك اليوم اليوم العاشر من المحرم كما ثبت في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرا، فنحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بصيامه". [3]

---

[1] حجة الله البالغة: ١ / ٧٤، ٧٥. طبع الهند.

[2] حجة الله البالغة: ٢ / ٥٤، طبع الهند.

[3] كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء.

فضل شهر رمضان:

شهر رمضان هو شهر العبادة والتقرب إلى الله تعالى، وهو شهر الانتصار على الشهوات، وكبح جماح النفس الأمارة بالسوء، شهر الصبر وتربية النفس، كما أنه شهر الجهاد، جهاد النفس وجهاد أعداء الله. وهو شهر الرحمة والمغفرة والرضوان، وشهر البر والخير والبركة، وشهر القرآن، وشهر المواساة والمساواة، وشهر العتق من النار، وشهر نزل فيه القرآن والزبور والتوراة والإنجيل، وشهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر يحمل العبد المؤمن على فعل الخيرات، وترك المنكرات، ووداع الشبهات، واتقاء المحرمات والتغلب على الأهواء والشهوات، وشهر يحط الخطايا، ويكفّر الذنوب، ويحرق الآثام، وإنه الشهر العظيم المبارك الذي تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وتربط مَرَدة الجن والشياطين بالسلاسل والأغلال – إكراما للمؤمنين الصائمين – لئلا تغوي بني آدم ..... وشهر توالت فيه الانتصارات، والفتوحات الإسلامية العظيمة.

الصوم انتصار على النفس والأعداء:

توالت الانتصارات في رمضان، انتصارات على مستوى الفرد والأمة، لقد عرف المسلمون أول انتصاراتهم في رمضان قبل أن يفرض الصوم، ففي السنة الهجرية الأولى، وفي شهر رمضان، عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم أول لواء لأول سرية مقاتلة لعمه حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) في ثلاثين رجلا من المهاجرين لاعتراض قافلة حجارية لأهل مكة يقودها أبوجهل مع ثلاث مائة من مشركي مكة.

وفي السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة (أي بعد فرض الصوم بسبعة عشر يوما)، وقعت غزوة بدر التي كانت فاصلة في تاريخ المسلمين، فاصلة بين الإيمان والكفر، وبين الحق والباطل.

لقد عرف الصحابة رضوان الله عليهم معاني الصوم وفضائله وبركته "إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم". (سورة محمد: ٧)

وتوالت الانتصارات في شهر رمضان المبارك، ففي السنة الخامسة من الهجرة استعد المسلمون في شهر رمضان المبارك لحفر الخندق، وتجلت معاني الصوم في وحدة المسلمين بمشاركتهم مع رسولهم في حفر الخندق وتحصين المدينة المنورة لصد أي عدوان خارجي، وانتهت المعركة في شوال بانتصار المسلمين بعد أن هزم الله فلول المشركين، وفي رمضان من العام الثامن فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة، ولا يخفى ما لهذا الفتح من أهمية عظيمة، إذ أعلنت دولة الشرك والطغيان نهايتها في هذا الشهر الكريم، فقد حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عصاه وطاف بالبيت الحرام وهو يقرع الأصنام مرددا قول الله تعالى: {وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا} (الإسراء: ٨١).

ولم يكتف رسول الله بتحطيم الأصنام والأوثان في مكة، بل أرسل عدة سرايا في الشهر نفسه من العام نفسه لهدم الأصنام الشهيرة، فبعث خالد بن الوليد لهدم العزى، وعمرو بن العاص لهدم سواع، وسعد بن زيد الأشعلي لهدم مناة، وهكذا تمّ تحطيم الأصنام ورموزها في الشهر المبارك.

وفي رمضان من السنة التاسعة وقعت غزوة تبوك، وتجلى في هذه المعركة انتصار النفس على الأهواء وحب الدنيا، فقد سارع المسلمون في تجهيز الغزوة وكان الوقت حارا، والسنة جدباء، والناس في عسرة، وتسابق المسلمون للبذل، فدفع أبوبكر كل ماله، وأنفق عثمان بن عفان الشيء الكثير، كما تسابق المسلمون لبذل أموالهم، تسابقوا للجهاد بأنفسهم حتى اكتمل تجهيز الجيش، عند ما رأى الروم وأتباعهم إصرار الرسول على مقاتلتهم، تفرقوا في البلاد شذر مذر.

لقد حقق المسلمون في غزوة تبوك انتصارا سياسيا كبيرا، إذ عقد الرسول صلى الله عليه وسلم مع أمراء تلك الجهات المعاهدات على أن يدفعوا الجزية إليه مقابل أمانهم على أرواحهم وأموالهم ودينهم، بالإضافة إلى إيقاع الرعب في قلوب الروم وأتباعهم الذين فوجئوا بقوة المسلمين العسكرية.

ولم تقف الانتصارات في رمضان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، بل شملت العهود كلها بعده، ففي رمضان من السنة الثالثة عشرة انتصر المسلمون في عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – انتصارا ماديا ومعنويا بعد هزيمتهم بمعركة الجسر، فقد قتلوا عددا كبيرا من الفرس بينهم قائد الجيش.

وفي السنة الخامسة عشرة في شهر رمضان كان الانتصار العظيم على دولة الفرس في معركة القادسية التي قادها سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه - ، وكان من نتائج هذه المعركة انهيار معنويات الفرس، واعتناق الكثير من عرب العراق الإسلام، وفتح الطريق أمام المسلمين إلى المدائن عاصمة الفرس، وتوالت الانتصارات العظيمة في شهر رمضان بعد الخلفاء الراشدين، ففي عهد معاوية بن أبي سفيان تم فتح جزيرة رودس عام ٥٣ هـ.

وكذلك تم فتح الأندلس في رمضان عام ٩٣هـ، فقد تمكّن موسى بن نصير من الاستيلاء على آخر معاقل الأسبان، وكانت بداية فتح الأندلس في رمضان ٩١ هـ عندما أرسل الأمويون حملة بقيادة طريف بن مالك مع خمس مائة من المقاتلين، وفي رمضان عام ٩٢ هـ قاد طارق بن زياد حملة الفتح الكبرى وانتصر على القوط الذين اضطربوا وتشتّت شملهم.

وتتابعت الانتصارات في شهر رمضان المبارك، ففي رمضان من عام ٢١٧هـ أسس المسلمون مدينة "كافيا" في جزيرة كريت، وفي رمضان من عام ٣٦١هـ تم بناء الجامع الأزهر من قبل جوهر الصقلي، وقد شاءت إرادة الله – عز وجل – أن يكون منارا للحق والدعوة في عهد الأيوبيين.

وبرزت انتصارات صلاح الدين الأيوبي في شهر رمضان، ففي عام ٥٨٤هـ خلص مدينة "صفر" الواقعة شمال فلسطين من أيدي الصليبيين، كما أنه قام في رمضان عام ٥٨٨هـ بتحصين بيت المقدس.

وذاق التتار هزائمهم الكبيرة أيضا في رمضان، ففي عام ٦٥٨هـ أعلن قطز التعبئة العامة ضد جيوش التتار التي أحرقت الأخضر واليابس خلال زحفها المرعب في بلاد

خوارزم، والعراق، والشام، وقتلوا خلالها الخليفة العباسي المعتصم ٦٥٦هـ مع مئات الألوف من نساء وأطفال المسلمين، وكادت البلاد تسقط في أيديهم لولا فضل الله ثم شجاعة القائد قطز الذي أذاقهم شر الهزائم في معركة عين جالوت بفلسطين، وذلك يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان عام ٦٥٨ هـ، وفي رمضان من عام ٦٦٦ هـ هاجم الملك الظاهر بيبرس أنطاكية واستولى عليها بعد أن أسر نحو عشرة آلاف من مقاتليها.

وبعد ثلاثة أعوام قام هذا البطل المجاهد في رمضان ٦٦٩هـ بالاستيلاء على مدينة عكا وهزيمة الصليبيين فيها.

وقد أخذ العثمانيون أيضا بركة شهر رمضان في الانتصارات على أعدائهم، فقد استولى السلطان محمد الفاتح في رمضان سنة ٨٧٩ هـ على بلاد القرم وألحقها بالدولة العثمانية، وواصل خلفاؤه بعده مسيرة الصحابة – رضوان الله عليهم – في نشر دعوة الإسلام ومحاربة أعدائه، ففي رمضان من عام ١٢٤١ هـ استولوا على أجزاء كبيرة من بلاد اليونان.

وفي العاشر من رمضان من عام ١٣٩٣ هـ تفوق العرب على أعداء الإنسانية اليهود عندما اجتاحت القوات المصرية خط بارليف، وقامت القوات السورية بدك التحصينات المنيعة في هضبة الجولان، ولولا تدخل القوى الاستكبارية لوقف القتال لوصلت الجيوش العربية إلى عقر ديارهم التي سلبوها عنوة من أصحابها الحقيقيين. [1]

فضيلة الصيام وكرائم الصائمين:

وردت الأحاديث الصحيحة الكثيرة في فضل الصيام والصائمين في كتب الحديث. منها ما يلي:

---

[1] مجلة "المستقبل الإسلامي" العدد (٧٧) رمضان ١٤١٨ هـ، الصادرة عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية.

أ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله – عز وجل- "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، هو لي وأنا أجزي به، فوالذي نفس محمد بيده لخلفة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك". ([١])

ب – وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك". ([٢])

ج – وعن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة بابا يقال له "الريان" يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون، فيدخلون منه، فإذا دخل أولهم أغلق فلم يدخل منه أحد". ([٣])

د – وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الصيام جنة". ([٤])

ر – وعن أبي أمامة، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي العمل أفضل؟ قال: "عليك بالصوم، فإنه لا عدل له" ([٥])

هذا، وكذلك وردت الأحاديث الصحيحة الكثيرة في فضل الصوم والصائمين تركتها مخافة الإطناب.

(يتبع)

❖❖❖

[١] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام.

[٢] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام.

[٣] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام.

[٤] رواه النسائي، كتاب الصيام، باب فضل الصيام ٢٢٢٨، صحيح الإسناد.

[٥] رواه النسائي، فضل الصيام ٢٢٢٢، صحيح الإسناد.

....

المحدث الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله

مؤلف مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

حياته وأعماله

(١٣) أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

خدماته الدعوية:

إن العلماء في كل زمان ومكان يهتمون بالدعوة إلى الله وإبلاغ رسالة الله إلى خلقه، لأنها من مقتضيات العلم الذي أوتوه، فكما أن العلم يطلب العمل، فكذلك يقتضي الدعوة والإبلاغ أيضا. قال الله جل وعلا في كتابه العزيز:

{فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون – التوبة: ١٢٢}.

وصاحب الترجمة الشيخ عبيد الله الرحماني – رحمه الله – له جهود مشكورة بذلها في ميدان الدعوة والإرشاد إلى جانب الميادين الأخرى، وكان يقوم بهذا العمل باعتباره واجبا دينيا وفريضة إسلامية وعملا صالحا يبتغي به وجه الله تعالى. فقد قال – رحمه الله – في شرح حديث: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" ما نصه:

"والفقه في الدين الذي أريد بمن يعطه الخير هو العلم الذي يورث الخشية في القلب، ويظهر أثره في الجوارح، ويترتب عليه الإنذار، كما يشير إليه قوله تعالى: {فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة – ٩ : ١٢٢} الآية" [1]

كان – رحمه الله – يقوم بواجب الإنذار والإبلاغ بكل ما يملك من الوسائل والطرق مثلا الكتابة والخطابة وإلقاء الدروس والمواعظ ومشاركة المجالس الدعوية، وكان يرغب تلاميذه خاصة وأهل العلم عامة في الاهتمام بهذا الجانب، ويرشدهم إلى

[1] مرعاة المفاتيح: ١ / ٣٠٤.

الأنفع والأصلح من الوسائل والأساليب الدعوية، ويوصيهم بتجنب سلوك سبيل الجدل والمناظرة والطرق الاستفزازية.

وأذكر في السطور التالية بعض أعماله الدعوية المتنوعة التي وقفت عليها في مصادر ترجمته رحمه الله:

خطبة الجمعة:

كان – رحمه الله – يهتم بإلقاء خطبة الجمعة إذا سنحت له الفرصة بذلك. ولما كان يعمل في مدرسة دار الحديث الرحمانية بدهلي، فرغم أعماله المتنوعة من التدريس والإفتاء والإشراف على المجلة والإشراف على الطلاب وما إلى ذلك، كان يلقي أحيانا خطبة الجمعة في مسجد المدرسة". [١]

وفي أيام إقامته بموطنه مباركفور في الإجازات، وكذلك عندما حط رحله في موطنه بعد إغلاق المدرسة الرحمانية كان يلقي خطبة الجمعة في مسجد شيخه العلامة محمد عبد الرحمن المباركفوري في صوفي فوره، وبعد فترة من استقراره في مباركفور لمس الحاجة إلى زيارة القرى المجاورة للأغراض الدعوية، فخص لذلك يوم الجمعة، إذ كان يكون مشغولا في تأليف شرح المشكاة طيلة أيام الأسبوع. فكان يخرج في يوم الجمعة مبكرا ومعه أحد أبنائه، وأحيانا يصحبه الشيخ محمد إسماعيل المباركفوري، فكان يقطع أميالا مشيا على الأقدام للوصول إلى هذه القرى والأرياف التي قلما يصل إليها الدعاة والمبلغون، مثل قرية بهاوافور قرب موضع بليرياغنج، أعظم غره، وقرية بندول، وجيراج فور، وبمهور، وبندي كلان الخ، وهذه القرى كلها كانت تتبع مديرية أعظم كره آنذاك، وتقع على عدة أميال من مباركفور، وأغلب سكانها كانوا من العاملين بالكتاب والسنة. ولكن لقلة تواصل علماء أهل الحديث بهؤلاء ضعف انتماؤهم إلى الحق والطريق المستقيم، وغلبت عليهم البدع والتقليد الأعمى. [٢]

دروس المساجد:

إلى جانب اهتمامه بالخطبة كان رحمه الله يعتني اعتناء بالغا بإلقاء الدروس المختصرة في المساجد. ومن نافلة القول أن نذكر أهمية هذه الدروس وتأثيرها في

---

[١] الشيخ عبيد الله الرحماني: حياته وخدماته، لفواز عبد العزيز، ص: ٩٣.

[٢] المرجع السابق، ص: ٩٤ – ٩٥، وانظر أيضا مجلة محدث، بنارس: العدد الخاص بالشيخ، ص: ١٢٥.

الناس، فهي من الوسائل الناجحة التي اعتنى بها العلماء والدعاة قديما وحديثا، ونفعوا بها خلقا كثيرا، فهذه الدروس إذا أعدت إعدادا مدروسا، وروعي فيها حاجة الحضور وحاجة المجتمع، ينفع الله بها الناس، كما هو معروف ومشاهد.

وفي الفترة التي كان الشيخ المباركفوري يلقي فيها خطبة الجمعة في مسجد شيخه بمباركفور، كان يلقي أيضا الدروس المختصرة بعد صلاة الفجر في المسجد نفسه، وكان يحضر المستمعون في هذا المسجد للاستماع إلى درسه والاستفادة منه من مساجد مجاورة أيضا. حتى إن بعض المنتسبين إلى المذهب الحنفي كانوا يحضرون أيضا لسماع درسه رحمه الله.

وذكر الأستاذ فاروق الأعظمي أن مجموعة من المثقفين الأحناف الذين أحيلوا إلى التقاعد من وظائفهم الحكومية طلبوا من الشيخ أن يخصص لهم بعض الوقت لدرس الحديث الشريف، فاستجابة لرغبتهم بدأ الشيخ سلسلة درس الحديث في مسجده بعد صلاة العصر يوميا. وبعد انتشار خبر هذا الدرس بدأ عدد المستمعين يتزايد يوما بعد يوم، واستمرت هذه السلسلة إلى أن توقفت لظروفه الصحية المتدهورة، رحمه الله تعالى. [1]

المشاركة في الحفلات الدعوية:

من الفرص التي كان يغتنمها العلماء للدعوة والإرشاد تلك الحفلات الدينية التي يعقدها المسلمون للوعظ والتوجيه والتوعية، حيث تقام هذه الحفلات في الساحات الكبيرة أو في القاعات الواسعة أو في المساجد، ويدعى كبار العلماء والدعاة لإلقاء كلماتهم ومواعظهم فيها. وكان لهذه الحفلات دور كبير في توعية الناس وتبصيرهم بأمور دينهم، وكانت سببا – بإذن الله – بتوبة الناس عن الذنوب والمعاصي والرجوع إلى الله. وقد قل نفعها الآن أو انعدم بدخول المغرضين من القصاص والواعظين في هذا الميدان. فإلى الله المشتكى.

---

[1] انظر: مجلة البلاغ: مارس ١٩٩٤م، ص: ٣٤ – ٣٥.

كان الشيخ المباركفوري رحمه الله يشارك أحيانا في هذه الحفلات، ويلقي كلمته فيها، ويفيد الناس بمعارفه وخبراته، ولا تكون كلماته طويلة كما هو دأب كثير من الخطباء المحترفين، بل كان يؤثر الإيجاز والاختصار، وكان يتحدث في ضوء نصوص الكتاب والسنة الثابتة بأسلوب سهل يهضمه عامة الناس. ونظرا لمكانته العلمية وورعه وتقواه كان الناس يرغبون في الاستماع إليه والاستفادة منه. وكان منظمو الحفلات الدعوية يقدمون إليه الدعوة للحضور في حفلاتهم وإلقاء الكلمة فيها، فكان يستجيب لبعضهم حسب ظروفه وأحواله، ويعتذر إلى بعضهم.

ومن الحفلات والمؤتمرات الدعوية التي تذكر مصادر ترجمته مشاركته فيها ما يلي:

١ – حفلة في نعمة فور، بتياله، بولاية فنجاب في عام ١٣٦٥ هـ، حضرها مع الشيخ نذير أحمد الأملوي والحاج عبد السلام، في أيام تدريسه بالمدرسة الرحمانية بدهلي. وألقى كلمة فيها. وكان الشيخ محمد أمين الأثري الرحماني المباركفوري يدرس آنذاك في مدرسة هناك. [١]

٢ – حفلة دعوية عقدت في مدينة ميرتهـ برئاسة الشيخ المباركفوري، وقد حضرها الشيخ الخطيب المناظر محمد الجوناكرهي رحمه الله أحد كبار علماء أهل الحديث آنذاك. وهو الذي طلب من مدير المدرسة الرحمانية بدهلي أن يسمح للشيخ المباركفوري بالمشاركة في الحفلة ورئاستها وإلقاء محاضرته فيها. [٢]

٣ – مؤتمر أهل الحديث لعموم الهند، المنعقد في مدينة نوغدهـ عام ١٩٦١م، وكان اجتماعا حاشدا تاريخيا لأهل الحديث في الهند، استمر لثلاثة أيام، حضره الشيخ، ورأس بعض جلساته أيضا.

٤ – مؤتمرات وندوات الجامعة السلفية في بنارس، وكان يشغل منصب رئيس الجامعة، ومن هذه المؤتمرات: مؤتمر عند تأسيس الجامعة، والمؤتمر العالمي الكبير المعروف بمؤتمر الدعوة والتعليم المنعقد عام ١٩٨٠م.

---

[١] انظر: مكاتيب رحماني، مجموعة الرسائل التي وجهها الشيخ إلى الأستاذ محمد أمين الأثري، ص: ٣٥ – ٣٦.

[٢] راجع: الشيخ عبيد الله الرحماني: حياته وخدماته لفواز عبد العزيز، ص: ٧٧ – ٧٨.

٥ – مؤتمر أئمة المساجد، الذي عقده الشيخ مختار أحمد الندوي من قبل إدارة إصلاح المساجد، انعقد هذا المؤتمر في مدينة مئو عام ١٩٨٥م برئاسة الشيخ المباركفوري رحمه الله.

٦ – الحفلات التي كانت تعقدها جامعة سراج العلوم السلفية، بونديهار، بمناسبة اجتماع مجلسها الإداري السنوي، وكان الشيخ المباركفوري مشرفا على هذه الجامعة، فكان مسؤلو الجامعة أو أهل المنطقة يعقدون حفلا دعويا بمناسبة حضور الشيخ في اجتماع الجامعة، فيشارك فيه ويلقي محاضرته ويفيد الناس، بالإضافة إلى الحفلات التي كانت تنظم في المناطق الحدودية بين الهند والنيبال.

٧ – الحفلات التي كانت تعقد في مدينة مئو، فكثيرا ما كان الشيخ يشارك فيها ويرأسها ويلقي كلماته فيها على طلب وإلحاح من منظميها.

ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن الشيخ رحمه الله كما عرف من أخلاقه وعاداته كان يؤثر الخمول، ويجتنب الظهور والإشادة والمدح شأن العلماء الربانيين في كل مكان. وقد عرف من عادات منظمي مثل هذه الحفلات استعمال أسماء كبار العلماء المشاركين في الحفل للدعاية لحفلاتهم لاستقطاب أكبر عدد ممكن من الحضور. وقد حصل مرة أن أهل قرية "أملو" الواقعة قريبا من مباركفور أرادوا تأسيس مدرسة إسلامية في قريتهم، وقدموا الدعوة للشيخ لحضور حفل التأسيس ووضع حجر الأساس للمدرسة، وكان الشيخ يرغب في الحضور، ولكن بلغه أن أهل القرية أعلنوا من منصة الحفل الذي أقيم قبل يوم التأسيس في الليل أن الشيخ عبيد الله الرحماني سيقوم بوضع حجر الأساس للمدرسة غدا، ويلقي خطبة الجمعة في مسجد المنطقة. وهذا الإعلان والتشهير لم يعجب الشيخ، بل تأذى به كثيرا، وقرر عدم حضور حفل التأسيس وإلقاء الخطبة. [1]

ومن هذا النوع ما ذكره الشيخ مختار أحمد الندوي رحمه الله أنه مرة كان مع الشيخ في الحج في عرفات يوم عرفة، فالتف الناس حوله يريدون الاستماع إليه، والشيخ

---

[1] راجع للتفصيل: مجلة محدث بنارس: العدد الخاص بالشيخ، ص: ٢٥٨ – ٢٥٩.

صامت، فتقدمت إليه ورجوت منه أن يتفضل بإلقاء بعض الكلمات بهذه المناسبة، فلما أكثرت عليه دمعت عيناه، ونطق قائلا: "لا أظن أن أحدا من الحاضرين أحوج مني إلى التوبة والاستغفار، لا أعد نفسي أهلا لبث هيمنته على الناس بالدرس والكلمات في هذه اللحظات الثمينة التي هي مظنة مغفرة الله ورحمته .....". [١]

إصلاح ذات البين:

من الأمور التي حث عليها الشرع ورغب أتباعه فيها إصلاح ذات البين، بل عده أفضل من بعض العبادات البدنية والمالية، ففي حديث صحيح رواه أبوداود وغيره عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة". [٢]

ورغم أشغاله العلمية المتراكمة كان الشيخ رحمه الله يولي هذا العمل عناية كبيرة، ويبذل ما في وسعه لإنهاء الخلافات بين الناس، وقد رزقه الله قبولا في الناس، فكانوا يسرون في الاحتكام إليه والاستسلام لآرائه واقتراحاته، ويعودون إلى رشدهم وتآلفهم. كان الناس يطلبون منه فصل خصوماتهم وإنهاء نزاعاتهم، وهم في مناطق بعيدة من بلدته، فلم يكن يتردد في السفر وتحمل مشاق الحل والترحال إليهم. كان أولا يستمع إلى أفراد كل من الفرقتين المتخالفتين بكل دقة وعناية، وقد يلقي أمامهم كلمة يحثهم فيها على العفو والتسامح، ويذكرهم بأهمية الاجتماع والتآلف، ويبين مآل الخصومة والتنازع، ثم يدلي بحكمه وقضائه.

وقد جاء ذكر بعض الأقضية التي قضاها رحمه الله وحسم النزاع فيها في مجلة محدث، العدد الخاص، فمن أراد الاطلاع على التفاصيل فليرجع إليه. [٣]

---

[١] مجلة البلاغ، ، ممباي، فبراير ١٩٩٤م، ص: ١٧ – ١٨.

[٢] رواه أحمد وأبوداود والترمذي، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير (٢٥٩٥).

[٣] ص: ٢٠٢ – ٢٠٤.

حث الطلبة والعلماء على القيام بالدعوة والإرشاد:

إلى جانب بذل جهده في ميدان الدعوة والتوجيه كان رحمه الله يحث أهل العلم على الخوض في ميادين الدعوة والإرشاد والتوعية والتوجيه، ويشجع القائمين بهذا الواجب ويثني عليهم ويرشدهم إلى الأنفع والأفضل من الوسائل والأساليب.

فمن أشهر تلاميذه الشيخ عبد الرؤف الرحماني رحمه الله، الذي كان داعية ناجحا، وهبه الله ملكة في الكلام، يسحر بها قلوب المستمعين ويستولي عليهم، وكان يتكلم في ضوء الكتاب والسنة، ويأتي بالأمثلة والوقائع التاريخية المؤثرة والأدلة النقلية والعقلية التي تهز القلوب والعقول هزا. كان الشيخ المباركفوري يحضر مجالسه، ويتابع محاضراته، ويمده بتوجيهاته وتصويباته، ويبدي فرحه وارتياحه به وبنجاحه، ويشجعه على مواصلة العمل والجهد، ويدعوله. وقد بلغ من اغتباطه به أن منحه لقب "خطيب الهند" وبعد فترة من الزمن وبعد إحرازه نجاحا أكبر في ميدان الدعوة والإرشاد أكرمه بلقب "خطيب الإسلام" حتى صار هذا اللقب بمثابة العَلَم عليه. رحمهما الله رحمة واسعة.

ويذكر الشيخ محمد رئيس الندوي، المدرس السابق بالجامعة السلفية، قصته في بدء الدروس الدعوية بتحريض من الشيخ المباركفوري بقوله:

"وباقتراح من شيخ الحديث المباركفوري بدأت في إلقاء الدروس القرآنية بعد صلاة الفجر في مدرسة سراج العلوم، جهندا نغر (نيبال) وكذلك خطبة الجمعة، وبفضل الله ومنه كان هذا العمل نافعا لي جدا في مجال العلم والعمل معا".

وقال أيضا:

" .... وباقتراح منه أيضا بدأت سلسلة إلقاء درس القرآن بعد صلاة الفجر في مدرسة دار العلوم الأحمدية السلفية، دربنجه". [١]

وتتضمن رسائل الشيخ المباركفوري كثيرا من التوجيهات الدعوية والتربوية، نذكر بعضا منها في الأسطر التالية:

---

[١] مجلة محدث بنارس: العدد الخاص بالشيخ، ص: ٢٤٩ – ٢٥٠.

ففي رسالة له وجهها إلى تلميذه الشيخ محمد أمين الأثري في: ٧ / ٧ / ١٣٦٥ هـ حينما كان مدرسا في المدرسة المحمدية في نعمت فور، بتياله (فنجاب) يرغبه في الدعوة والإرشاد بقوله:

"لابد من مواصلة عمل الدعوة والتبليغ في الأوقات الفارغة، فالعلم الصحيح والعمل المقبول كلاهما واجب للإنسان، فلا يمكن العمل بغير علم صحيح، ولا يكون العلم نافعا بغير عمل، وليس على الإنسان المسلم إصلاح نفسه فقط، بل وكل إليه مسؤولية تبليغ وهداية الآخرين أيضا، فيجب بذل الجهد لإنجاز كلا العملين بأحسن ما يمكن ...". [١]

وفي رسالة أخرى له موجهة أيضا إلى الشيخ محمد أمين يقول:

"أول واجب عليك أن تقوم بتدريس الطلاب في كل أوقات الدوام بعد مطالعة عميقة وإعداد تام، وفي بقية الأوقات تقوم بالتبليغ والتلقين في عامة الناس ..... وتوضع عقبات وعراقيل في سبيل الحق والدعوة فيجب أن نوطن أنفسنا للصبر على ذلك، ولابد من الاجتناب عن الشدة والغلظة والفظاظة حتى لا ينفض الناس، على كل عليك بالاستمرار في عمل الإصلاح بالحكمة ...". [٢]

وكتب – رحمه الله – إلى الشيخ عبد السلام الرحماني حينما كان الشيخ عبدالسلام يعمل داعية في جزر فيجي:

".... فكما أنك تعمل بالحكمة والموعظة الحسنة في الرد على الشرك والبدع فتأتي النتائج الإيجابية فكذلك عليك بالجد في الرد على القاديانيين مع ملاحظة أن لا يصل الأمر إلى الجدل والمناظرة. وأفضل وسائل الدعوة اليوم أن توفر الكتابات الواضحة والمعدة بجدية وإتقان، التي تخاطب عقول وأذهان المثقفين والمتعلمين، والتي تتضمن الرد على الشرك والبدعة وعلى النحلة القاديانية ..." [٣].

---

[١] مكاتيب رحماني، ص: ٣٦.

[٢] المصدر السابق، ص: ٣٨.

[٣] مكاتيب حضرة شيخ الحديث، ص: ١٨١.

فكان رحمه الله شديد الالتزام في خطبه وكتاباته بمنهج الاستدلال والإقناع، بعيدا عن أسلوب الإثارة والتجريح والنقد اللاذع، وعن أسلوب الجدل والمناظرة والقيل والقال، ويحث دائما تلامذته وأهل العلم والدعوة باتخاذ هذا المنهج وسلوك هذا الطريق في الدعوة، وكان يتأذى كثيرا حينما كان يطلع على مواقف المنتسبين إلى العلم والدعوة من مخالفيهم في المنهج أو الاستدلال، أنهم انحطوا في كتاباتهم أو خطبهم إلى طريق الجدل والمناظرة والنقد الجارح. ويمكن الوقوف على الأمثلة في "مكاتيب حضرة شيخ الحديث"، في الصفحات: ١٢٤ – ١٢٥، ١٥٦، ١٦٩، ١٨١.

وكان رحمه الله يتألم على الأوضاع السيئة للمجتمع الإسلامي وعلى التقاليد والأعمال التي لا تمت إلى الإسلام بأي صلة، والتي تغلغلت في المسلمين. ويؤكد على الدعاة والعلماء القيام بالقضاء عليها وضرورة البدء بالإصلاح من بيوتهم وذويهم. يقول رحمه الله في رسالة له وجهها إلى الشيخ عبد السلام الرحماني:

"طبيعي أن أتألم بالاطلاع على التفاصيل المكتوبة في رسالتكم عن هدايا الزواج والخِطبة والجهاز، ولا يزال هذا الداء وهذا التقليد الفاسد يتزايد في كل مكان ولدى كل الطبقات. ومع أن الناس يعدونه إسرافا بل هلكة ولعنة، لكنهم لا يحترزون عن الدخول في هذا الوحل. وأصبحت ولادة البنات تعد مصيبة كما كان الأمر في الجاهلية. ولا يمكن القضاء على هذا التقليد وهذه العادة بمجرد الوعظ أو الفتوى، بل يجب على الوجهاء والعلماء وخاصة فئة الشباب أن يتعاونوا ويتكاتفوا لمكافحته بشكل جماعي، وأن يبدءوا الإصلاح والتغيير من بيوتهم". [١]

(يتبع)



[١] المصدر السابق، ص: ١١١.

سمو الإسلام

لا غلوّ ولا جفاء في الإسلام

عبدالصَّبور أبوبكر
الجامعة الإسلاميّة بالمدينة النبويّة

الحمدُ للّه ذي الجلالِ والعَظَمَة، والصّلاة والسّلام على محمّدٍ نبيّ العدلِ والرّحمَة، وعلى آله وصَحْبه أولي العزم والهمَّة:

أمّا بعد؛ فالإسلامُ دينٌ ربّانيٌ كاملٌ، اختاره اللّهُ لكافّة النّاس؛ ونَسَخَ به الشّرائعَ السّابقةَ، وخَتَمَ به الأديانَ السَّماويّة، وللإسلام محاسن ومحامد، ومكارم ومآثر، وفضائل ومناقب، وخصائص وميزات، ومن أهمِّها وأبرزِها: أنّه دينُ الوسطيّة والاعتدال، قال اللّه تعالى: «وكذلك جَعَلْناكُم أمةً وَسَطًا لِّتكُونوا شُهَداءَ على النَّاسِ ويَكُون الرّسولُ عليكُم شَهيدًا». [البقرة: ١٤٣].

ومن معالمِ هذه الوسطيّة: التوسُّط بين الغلوِّ والجفاء في الأمورِ كلِّها، ونبذُ التشدُّد والتنطُّع في الدِّين كلّه، ورفعُ الحرجِ والإصْر عن الشريعة الحنيفيّة السمْحَة، فلا غلوَّ في الإسلام ولا جفاءَ، ولا إفراطَ ولا تفريطَ، ولا تشدُّدَ ولا تساهُلَ، ولا تطرُّفَ ولا تهاوُنَ.

وقد ازداد الغلوُّ والجفاءُ في أوساطِ المسلمين في هذا الزّمان ازديادا فاحشا مما أدّى إلى التفاخُر والتعالي، والعُنْف، وانتهاك حرماتِ الدِّماء، وتجاوُز حدودِ اللّه تعالى، وازدراءِ الآخرين واحتقارهم، وإيذائهم بغير حقٍّ.

وهذا ما دفَعَني إلى إبرازِ وسطيّة الإسلامِ في هذا الجانبِ المهمِّ، وتنبيهِ النّاس على سماحةِ الإسلامِ واعتدالِه، وحُسْنِه وانسجامِه مع الفطرةِ؛ في مقالٍ بعنوان: "لا غُلُوَّ في الإسلامِ ولا جفاءَ".

والغُلُوُّ هو: المبالغةُ في الشيء ومجاوزة الحدِّ فيه.

والجفاءُ هو: الإهمال في الشيء أو الإعراض عنه وترك العمل به.

والغلُوّ يُوقِع المرءَ في المخاطرِ والمهالكِ، والشِّركِ والكُفْرِ، والجفاءُ يحرمُه من اكتسابِ المعالي والخيراتِ،والفضائلِ والحَسَنات، والغلوُّ مذمومٌ في كلِّ حالٍ؛ لما فيه من المضرّةِ، والمشقّةِ، والقَسوةِ،والغالي يتّصف - غالبًا- بتحمّسٍ زائدٍ، وغضبٍ غير محمودٍ، وتعصُّبٍ مقيتٍ، وجرأةٍ زائدةٍ، وعدمِ التّوازن في أفعالِه وأقوالِه وممارساتِه، مما تترتَّب عليه المفاسد الكبيرة، والعواقب الوخيمة من البغْضِ، والوحْشةِ، والنّفرةِ، والنِّزاعِ، والصِّراعِ، والقِتالِ.

والغلوّ والجفاء لا يأتي إلا بالشرِّ، ولا يحصُل بهما إلا المكروه،والخيرُ كلُّ الخير في التوسُّط والتوازُنِ، والقصدِ والاعتدالِ، والشرُّ كلُّ الشرِّ في البعْد عن هدي النبي ﷺ، ومخالفته ومجانبته، والوقوعِ في الغلوّ والجفاء.

وقد تظافرت نصوصُ الشّرع على الزّجر عن الغلُوّ والإفراط، والنّهي عن الجفاء والتّفريط، ومنها:

١-قولُه تعالى: «قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ»[سورة المائدة:٧٧].

قال الطبريُّ- رحمه الله - : "لا تجاوزوا الحقَّ في دينكم فتفرطوا فيه".[جامع البيان ٩/٤١٥].

وقال ابنُ كثيرٍ - رحمه الله - : "لا تجاوِزُوا الحدَّ في اتباعِ الحقِّ، ولا تطْروا مَنْ أُمِرْتُم بتعظيمِه فتبالِغُوا فيه حتى تُخْرِجوه من حيِّز النُّبوّة إلى مقامِ الإلهيّة، كما صنعْتم في المسيحِ، وهو نبيٌّ من الأنبياء فجعلتُمُوه إلهًا من دونِ الله".[تفسير القرآن العظيم ٣/١٥٩].

٢- وعن ابن عبّاس - رضي الله عنهما- أنّ النّبيّ ﷺ قال: «إيّاكم والغُلُوَّ في الدِّين، فإنّما هلك مَنْ قبلكم بالغلوِّ في الدِّين».[رواه ابن ماجه (٣٠٢٩)، والإمام أحمد (٣٢٤٨)، ورجاله ثقات].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- : "قولُه: «إيّاكم والغلوَّ في الدين» عامٌّ في جميعِ أنواعِ الغلوِّ في الاعتقادِ والأعمالِ".[اقتضاء الصراط المستقيم ١/٣٢٨].

٣- وعن عبد الله بن مسعودٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطِّعون» قالها ثلاثًا. [رواه الإمام مسلم (٢٦٧٠)].

قال النّوويّ- رحمه الله- :"أي: المتعمِّقون، الغالون، المجاوِزون الحدودَ في أقوالهم وأفعالهم". [شرح صحيح مسلم ١٦/٤٣٧].

٤- وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولن يُشَادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غلَبه، فسدِّدوا وقارِبوا وأبشِروا...» وفي لفظ: «القَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا».[رواه البخاري (٣٩، ٦٤٦٣)].

ويشادّ الدِّين: أي: يُقاويه ويُقاومُه ويُكلّف نفْسَه من العبادة فيه فوْق طاقته، والمشاددة: المغالبة. [النهاية في غريب الحديث ٢/٤٠٥ "شدد"].

وقال ابنُ رجب - رحمه الله - : "والتّسديد: العملُ بالسَّداد، وهو القصدُ والتَّوسُّط في العبادة، فلا يقصِّر فيما أُمِر به، ولا يتحمَّل منها ما لا يُطيقه".[فتح الباري: ١/١٥١].

٥- وعن أنس بن مالكٍ ﷺ قال: «دخل رسولُ الله ﷺ المسجدَ، وحبلٌ ممدودٌ بين ساريتين، فقال: «ما هذا؟» قالوا: لزينب تصلِّي، فإذا كسلتْ، أو فترتْ أمسكتْ به، فقال: «حلُّوه، ليصلِّ أحدُكم نشاطَه، فإذا كَسَلَ أو فَتَرَ قَعَدَ».[رواه الإمام البخاري (١١٥٠)، والإمام مسلم (٧٨٤)، واللّفظ له].

قال ابنُ حجرٍ - رحمه الله - : "وفيه الحثّ على الاقتصادِ في العبادة، والنَّهي عن التعمُّق فيها". [فتح الباري ٣/٣٧].

٦- وعن عبدالرّحمن بن شِبْل أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «اقرأوا القرآنَ ولا تأكلوا به، ولا تستكثِروا به، ولا تجفُوا عنه، ولا تغلُوا فيه».[رواه الإمام أحمد (١٥٥٢٩)، وقال ابن حجر: "إسناده قوي". فتح الباري ٩/١٠١].

قال أبو عبيدٍ - رحمه الله - : "والجافي عنه: التارك له وللعمل به".[غريب الحديث: ٣/٤٨٣].

٧-وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: «الحياءُ من الإيمان، والإيمان في الجنَّة، والبذاءُ من الجَفاء، والجفاء في النَّار».[رواه الترمذي (٢٠٠٩)، والإمام أحمد(١٠٥١٢)، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"].

ولعلّ فيما ذكرتُ من نصوصِ الكتاب والسُّنّة كفاية للعاقل اللَّبيب في معرفةِ حُرمة الغلُوِّ والجفاءِ في الإسلام، وخطورتهما على الفردِ والمجتمع، وألّا صلاحَ ولا فلاحَ

إلا في لزومِ الوسطيةِ والاعتدالِ والقصدِ في العباداتِ والمعاملاتِ؛ بل أمورِ الدِّين كلِّها، من غيرِ غلوٍّ، ولا تشدُّدٍ، ولا جفاءٍ، ولا تبتّلٍ، ولا رهبانيّةٍ.

قال ابنُ القيّم رحمه اللّه: "ما أمره اللّه بأمرٍ إلا وللشّيطان فيه نزعتان، إمّا إلى تفريطٍ وإضاعةٍ، وإمّا إلى إفراطٍ وغلوٍّ، ودينُ اللّه وسطٌ بين الجافي عنه والغالي فيه، فكما أنّ الجافي عن الأمر مضيِّعٌ له، فالغالي فيه مضيِّعٌ له، هذا بتقصيره عن الحدِّ، وهذا بتجاوز الحدّ". [مدارج السالكين ٢/٤٩٦].

ثمّ إنّ الغلوَّ والجفاءَ له مظاهر وأشكالٌ؛ ومن أهمِّ مظاهرها في عصرِنا الحاضر:

- فشوُّ القول عند طائفةٍ من الغُلاة بتكفيرِ المسلمين وتبديعِهم وتفسيقِهم من غير تحقيقٍ وتدقيقٍ، ولا برهانٍ وسلطانٍ، ومن غيرِ إزالة الموانعِ، وإقامةِ الحججِ، مما أدّى إلى ظلمٍ وعدوانٍ، وشرورٍ وفسادٍ، وقتلٍ وتشريدٍ، وإرهابٍ واغتيالٍ، وخروجٍ على ولاة أمور، وغيرها من المفاسد والمصائب، كفى اللّه المسلمين شرّهم.

- مبالغة الرّوافض والشيعة في تعظيمِ بعضِ آل البيت، وجفاؤُهم في حقِّ عامّة الصّحابة رضوان اللّه عليهم؛ إذ أخرجوا عليًّا من حيّز العبوديّة إلى مقام الألوهية، وتجاوزوا الحدَّ في تعظيمه وتعظيمِ بعض الآلِ والأصحابِ،وجفوا في جُلِّ الصحابة، وطعنوا فيهم، ورموهم بألوانٍ من السبِّ والشّتمِ، بل كفّروهم وتبرّؤوا منهم، قبّحهم اللّه.

- إطراءُ طائفةٍ من المسلمين ومبالغتُهم في محبّة النبي ﷺ، حتى أخرجوه من حيّز النّبوة إلى مقام الألوهية كما فعل النّصارى بعيسى بن مريم عليه السلام، وفرّطوا في ابتاعِ النبي ﷺ وتحكيمِ سنته، وتمسُّكِ هديه؛ فنبذوا أحكامَه وأفعالَه وراءَ ظهورِهم، وابتدعوا في الدّين وتمسكوا بالخرافاتِ والخزعبلاتِ، هداهم اللّه.

- ومن مظاهرِ الغلو: التعَصُّب المقيت والتقليد الأعمى لبعض الأشخاصِ والمذاهبِ، والمسالكِ والمشاربِ؛فيُسلّم لشخصٍ في جميع مقولاته وملفوظاته، ويُدّعى فيه العصمة بلسانِ الحال، ويُشَنُّ حربًا على مَنْ تَكلّم في ذلك، ويُتّهَم مَنْ ناقش قولَه أو خالفه بأنواعٍ من التُّهَم، ولا يخفى على عاقلٍ ما جرّ هذا التَّعصب على الأمّة الإسلاميّة من نقمٍ ومصائبَ، وحروبٍ وويلاتٍ. سلّمنا اللّه من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ.

- التصوُّف وطرقُه المتنوّعة المبنيّة على غلوٍوإفراطٍ، وجفاءٍ وتفريطٍ، ومخالفةٍ

لنورِ التوحيد الإلهي، وعقيدةِ الإسلام الصّافية، وشريعةِ الله السّمحة؛ ومن ذلك: غلوُّهم في الله تعالى، وغلوُّهم في الرّسول الكريم ﷺ، وغلوُّهم في الأولياء والصّالحين، أحياءً كانوا أم أمواتًا؛ فيتمسّحون بهم ويتبرّكون، ويخضعُون لهم ويركعون، ويستغيثون بهم ويتوسّلون، ويحرِّمون ما أحلّ الله، ويحلُّون ما حرّم الله، سبحان الله عمّا يفعلون.

فعُلم ممّا تقرّر أنّ الإسلامَ يحذِّر الناسَ أشدَّ تحذيرٍ من كلِّ أمرٍ اتصف بالغلو أو الجفاء؛ لأنه يخالف وسطيَّتَه التي هي من أبرز خصائصه، وأهمِّ معالمه، ويُبْعِد المرءَ عن الإنصافِ والعدلِ، والمنهج الأمثلِ في القولِ والعملِ.

هذا، وفي الختامِ أُلخِّصُ أهمَّ ما اشتمل عليه هذا المقالُ فيما يأتي:

أولًا: من أبرزِ خصائصِ الإسلام: وسطيّته واعتداله بين جميعِ الأديان والمذاهب.

ثانيًا: الإسلامُ ضدَّ كلِّ غلوٍّ وتطرُّفٍ، وجفاءٍ وتقصيرٍ؛ لأنّه يخالف وسطيَّته وسماحتَه.

ثالثًا: الغلوُّ مجاوزة الحدِّ، والجفاءُ الإهمال في الشيءوترك العمل به، أو العمل على خلافه.

رابعًا: الغلوُّ في الدِّين مرضٌ خطيرٌ، وداءٌ عُضالٌ، هلك به مَنْ كان قبلنا، كما هلَكَ به كثيرٌ من أمَّة نبيِّنا ﷺ.

خامسًا: ما كان القصدُ والتوسُّط في أمرٍ إلا زانه، وما كان الغلوُّ والشطَطُ في أمرٍ إلا شانه.

سادسًا: من أهمِّ مظاهرِ الغلوِّ والجفاء في مجتمعِنا المعاصر: التكفير والتفسيق، والغلوّ في المحبة والتعظيمِ، والتعصُّب،والتصوُّف،والتقليد الأعمى.

هذا ما تيسَّر لي كتابته في هذا المقال، أسأل الله عزّ وجلّ أن يجعلَه خالصًا لوجهِه الكريم، وينفعَ به الأمّة الإسلاميّة، ويوفِّقَنا للقصدِ والاعتدال في القولِ والعملِ.

وصلّى الله وسلّم على نبيِّنا محمّد وعلى آله وصحْبه أجمعين.

والحمد لله ربِّ العالمين.

❖❖❖

أهمية تعليم اللغة العربية بواسطة القرآن الكريم والحديث الشريف

تي. أمين أحمد العمري
جامعة مدراس

إن للغة العربية مكانة مرموقة ومنزلة عالية ،وهي هوية الأمة الإسلامية ورمزها ،ومستودع التراث الإسلامي وتفوق لغات العالم في المجد والكرامة والفصاحة والبلاغة ، وانحنى لعظَمتها العرب والمستشرقون، حتى لقد قال أحدهم: "ليس على وجه الأرض لغةٌ لها من الروعة والعظمة ما للّغة العربية، ولكن ليس على وجه الأرض أُمة، تسعى بوعي أو بلا وعي، لتدمير لغتها كالأمة العربية!"[1] وهي من أوسع اللغات انتشارًا في العالم إذ بلغ ناطقوها ما يزيد عن ٤٢٢ مليون عربي، ويستخدمها أكثر من مليار ونصف من المسلمين في أنحاء العالم .كفى بها فضلا وشرفا بأن اختارها الله تعالى لإنزال أشرف الكتب: القرآن الكريم كما يدل عليه قوله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [2]

وازدادت أهميتها في القرون المتأخرة لما للعرب من دور وإسهام في مجالات شتى كالتجارة والعلوم والفنون وغيرها.ومع الصحوة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها تجدد الشوق لمعرفة العربية وتعلمها ،وألفت كتب خاصة تعنى بتعليمها لغير الناطقين بها،وأسست معاهد خاصة للعناية بها وأدخلت ضمن المقررات الدراسية في المعاهد العصرية في جنوب الهند وشمالها.

قد تنوعت طرق تدريس اللغة العربية في المعاهد العصرية والجامعات والكليات من أستاذ لآخر، حسب تجاربهم الشخصية وتكوينهم العلمي والمستوى الدراسي

[1] إتقان الكتابة بالعربية للدكتور.مكي الحسني : (١/٢).
[2] يوسف:٢.

لطلابهم، وإن أمثل طريقة لتعليم اللغة العربية هي الإكثار من دراسة نصوصها الحية التي تتمثل في نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، كما يقول الدكتور ف. عبد الرحيم حفظه الله: "... إن أفضل وسيلة لتعلم لغة ما هي الإكثار من دراسة نصوصها الحية ،والتشبع بها،والتضلع منها ،مع تتبع المفردات والتراكيب التي لم يسبق الطالب دراستها من قبل والاهتمام بها." [١] فإن تعلم اللغة مهارة وتكسب كغيرها من المهارات الأخرى بقليل من التقعيد وكثير من التمثيل والتدريب.

ومما يلاحظ أن في كثير من مؤلفات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، خللا كبيرًا في الاستفادة من نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف كما يقرره الدكتور محمد عبد الفتاح والدكتور محمد عبد اللطيف: "ف"الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها" الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بالاشتراك مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا، بأجزائه الثلاثة يخلو من الآيات القرآنية تمامًا، مع أن الجزء الثالث قائم كله على اختيار مجموعة من النصوص من النمط العالي في العربية، شعرًا ونثرًا، ولو قارنا الوحدات المعجمية الواردة في "المعجم المساعد" للمنهج (٥٠٠٠ وحدة معجمية عربية) لوجدنا ما يعادل حوالي ٦٧٪ منها مستخدمة في القرآن الكريم!! وكذلك منهج جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بليبيا، فإنه يخلو تمامًا، في أجزائه الثلاثة، من آيات القرآن الكريم. ومنهج بيتر عبود Elementary Modern Standard Arabic يقدم في درس من دروسه خمس آيات قصيرة فقط، مع أن المنهج يحتوي على ما يقارب ألف صفحة. [٢]

وقد أدى تدريس القواعد النحوية من خلال أمثلة ميتة إلى عدم قدرة الطلاب على إتقانها وإجادتها مع دراستها عدة سنوات دراسة مكثفة .كما يقول الدكتور ف. عبدالرحيم حفظه الله: "إن ظاهرة عدم قدرة الطلاب على امتلاك ناصية اللغة العربية مع دراستها عدة سنوات دراسة مكثفة كما يحدث في شبه القارة الهندية إنما يرجع

---

[١] نصوص إسلامية للدكتور ف. عبد الرحيم: أ.

[٢] التوظيف التقني للقرآن ص: ٧.

السبب في ذلك إلى فصل النحو عن اللغة الحية وتدريس قواعده من خلال أمثلة ميتة محنطة لا تمت بصلة إلى الحياة" [1].

وقد ثبت أن النصوص الشريفة من القرآن والحديث تصلح أن تكون أمثلة رائعة دينية للقواعد النحوية ولا يدانيها مثال ما في الفصاحة والبلاغة، ويستطيع الطالب أن يحفظها ويفهمها بسهولة بدون أية صعوبة لأن الله يَسَّرَه للفهم كما قال تعالى: "ولقد يسرنا القرآن للذكر".

ويتضح لنا ذلك بعد التأمل في الأمثلة القرآنية الآتية مع المقارنة بالأمثلة الميتة المحنطة المذكورة في كتب النحو وإليكم بعض النماذج:

القواعد النحوية	من القرآن الكريم	من كتب النحو
مثال المبتدأ	الساعة آتية	زيد قائم
مثال نائب الفاعل	قتل الخراصون	ضرب زيدٌ
مثال المفعول به	أفلا يتدبرون القرآن...	ضرب زيد عمروًا

ولتعلم اللغة العربية بواسطة القرآن الكريم فوائد عديدة وهي تتمثل في نقاط تالية:

١- التزود بالثقافة الإسلامية:

يستطيع الدارس أن يتعلم اللغة العربية من خلال النصوص الحية التي تتمثل في نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، وفي الوقت نفسه يتزود بتعاليم الشريعة الغراء ويرتوي من مناهل الثقافة الإسلامية كما يقول الدكتور ف. عبد الرحيم: "ما أحسن أن يتعلم الطالب اللغة العربية من خلال نصوص تتجلى فيها مفاهيم إسلامية، فيفيد فائدتين: يتعلم اللغة، وفي الوقت نفسه يرتوي من مناهل الثقافة الإسلامية". اهـ

[1] نصوص إسلامية ص: أ.

٢- الفصاحة والبلاغة:

يستطيع الطالب الدارس أن يتعلم اللغة الفصحى من خلال نصوص القرآن الكريم ،فإن نصوصه تعد في قمة الفصاحة والبلاغة، وقد تحدى الله عزوجل الأدباء والبلغاء أن يأتوا بمثله سورة أو آية يدانيها في الفصاحة والبلاغة، فعجزت الأقلام والألسن أن تأتي بمثله سورة أو آية..!!

٣ - الأجر العظيم:

يتعلم الطالب اللغة ،وفي الوقت نفسه يكتسب الأجر العظيم من الله تعالى، فإن قراءة النصوص الشريفة من أجل العبادات وأعظمها وأشرفها، وإن لكل حرف عشر حسنات كما يدل عليه ما رواه الإمام الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها. لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف". [1]

وقد قام بعض العلماء من المعاصرين بتنفيذ هذه الفكرة: توظيف النصوص الحية لتدريس اللغة العربية، وممن عني بتنفيذها فضيلة الدكتور ف. عبد الرحيم في كتبه الثلاث (نصوص من الحديث الشريف، والمسعف في لغة وإعراب سورة يوسف، ونصوص إسلامية) وفضيلة الدكتور ممدوح نور الدين محمد في كتابه القيم: "العربية جسر للثقافة الإسلامية".

والله تعالى أسأل أن يجعلنا ممن يخدم لغة كتابه الكريم، ويجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم. آمين.



[1] جامع الترمذي : ١٧٥/٥.

تصحيح المفاهيم

حَال الإجَازَات

كتبها: أَبُو الْحَجَّاج يُوسُفَ بْنِ أَحْمَدَ آلِ عَلَاوِي

١.تَهَافَتَ لِلرِّوَايَةِ كُلُّ رَاغِبْ   صَغِيرٌ يَرْتَجِي نَيْلَ الْمَآرِبْ
٢.وَمَا ظَنَّ الضَّعِيفُ بِأَنَّ هَذَا   طَرِيقٌ مُوصِلٌ نَحْوَ الْمَصَايِبْ
٣.رَأَى الْأَشْيَاخَ تُسْنِدُهُ وَتُعْطِي   إِجَازَاتٍ بِهَا أَغْلَى الْمَطَالِبْ
٤.فَظَنَّ بِأَنَّهُ قَدْ صَارَ فِيهَا   فَقِيهًا عَالِمًا فَكَّ الصَّعَائِبْ
٥.بِغَيْرِ تَأَدُّبٍ يَسْعَى لِشَيْخٍ   لِنَيْلِ إِجَازَةٍ وَالْجَهْلُ غَالِبْ
٦.يُحَصِّلُ مَا يُحَصِّلُهُ بِزِرٍّ   بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ تَتْلُو الْمَتَاعِبْ
٧.وَمَا تَعِبَتْ يَدَاهُ بِكَتْبِ جُزْءٍ   وَلَا عِنْدَ الشُّيُوخِ ثَنَى الرَّكَائِبْ
٨.وَلَا جَابَ الْبِلَادَ لِحَمْلِ عِلْمٍ   وَخَلْفَ النِّتِّ يَلْتَمِسُ الرَّغَائِبْ
٩.فَمَا خَبُرَ الْعُلُومَ وَمَا دَرَاهَا   وَمَا سَهِرَ اللَّيَالِيَ فِي الْمَطَالِبْ
١٠.وَلَمْ يَصْحَبْ شُيُوخَ الْعِلْمِ إِلَّا   لِيُحْكَى أَنَّهُ بَلَغَ الْمَرَاتِبْ
١١.فَبِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ تَرَاهُ يَسْعَى   مَعَ الْأَشْيَاخِ يَقْتَنِصُ الْغَرَائِبْ
١٢.وَلَمَّا أَسْنَدُوهُ غَدَا إِمَامًا   وَخِرِّيتًا يُقَارِعُ كُلَّ خَائِبْ
١٣.فَيَعْلُو – وَالْعُلُوُّ لَهُ نُزُولٌ -   يُحَاكِي صَوْلَةَ الْأَسَدِ الْمُغَاضِبْ
١٤.فَهَذَا حَالُ مَنْ طَلَبَ الرِّوَايَهْ   بِغَيْرِ دِرَايَةٍ تُنْهِي الْغَيَاهِبْ
١٥.وَلَسْتُ بِمُنْكِرٍ أَخْذَ الْإِجَازَهْ   فَهَذَا دَأْبُ أَصْحَابِ الْمَنَاقِبْ
١٦.وَلَسْتُ بِمُنْكِرِ الْإِكْثَارِ مِنْهَا   وَهَذَا الْفِعْلُ مِنْ جَمْعِ أَطَايِبْ
١٧.وَقَدْ وَضَعَ الشُّيُوخُ لَهَا شُرُوطًا   مِنَ التَّأْهِيلِ وَالْوَعْيِ الْمُنَاسِبْ
١٨.وَمَعْرِفَةِ الشُّيُوخِ مَعَ الدِّيَانَهْ   وَإِتْقَانٍ وَضَبْطٍ جِدُّ صَائِبْ
١٩.فَإِنْ زِدْتَ السَّمَاعَ فَذَاكَ خَيْرٌ   وَتَابِعْ فِي الْمَسِيرِ إِلَى الْمَرَاقِبْ
٢٠.فَخُذْ هَذِي النَّصِيحَةَ مِنْ رَفِيقٍ   مُحِبٍّ مُشْفِقٍ خَبَرَ النَّوَائِبْ

٢١.عَلَيْـكَ بِـنَهْج أَسْـلَافٍ عِظَـامٍ مَضَوْا فِي الْعِلْمِ مِنْ شَتَّى الْمَذَاهِبْ
٢٢.بِهِـمْ رَفَـعَ الْإِلَـهُ مَنَـارَ عِـزٍّ وَهُـمْ أَهْـلُ الْفَوَاضِـلِ وَالْمَوَاهِـبْ
٢٣.عُلُومـًا أَصَّـلُوهَا بِاقْتِـدَارٍ وَهَمُّهُـمُ الدِّرَايَـةُ وَالتَّجَـارِبْ
٢٤.وَمَا تَرَكُوا الرِّوَايَةَ عَنْ شُيُوخٍ وَأَعْلَـامٍ رَقَـوْا فَـوْقَ الْكَوَاكِـبْ
٢٥.فَقَـدْ زَانُـوا رِوَايَـتَهُمْ بِعِلْـمٍ وَهَذَا الْأَصْلُ فِي طَلَبِ الْمَكَاسِبْ
٢٦.فَـزِدْ يَـا طَالِبًـا لِلْعِلْـمِ حِرْصًـا عَلَـى التَّحْصِيلِ لِلتَّأْصِيلِ صَاحِبْ
٢٧.وَسِرْ فِي نَهْجِ أَسْلَافٍ تَسَامَوْا فَهُـمْ فِـي الْعِلْـمِ أَرْبَـابُ الْمَنَاصِـبْ
٢٨.تَعَلَّـمْ عِلْمَهُـمْ وَاعْمَـلْ بِعِلْـمٍ فَتَرْكُهُمَـا بِـهِ شَـرٌّ الْعَوَاقِـبْ
٢٩.فَعِلْـمٌ دُونَ شُـغْلٍ لَـيْسَ يُجْـدِي وَشُـغْلٌ دُونَ عِلْـمٍ عَنْـهُ جَانِـبْ
٣٠.وَجَمْـعٌ بَيْنَهَـا خَيْـرٌ وَفِيـرٌ بِـهِ تَجْنِـي الْكَثِيـرَ مِـنَ الْمَكَاسِـبْ
٣١.لَعَـلَّ اللَّـهَ يَرْزُقُنَـا جَمِيعًـا فَعِنْـدَ اللَّـهِ تُلْـتَمَسُ الْأَطَايِـبْ
٣٢.وَجَاهِدْ فِي رِضَى مَوْلَاكَ تَنْجُو وَلِلْأَعْمَـارِ وَالْجُهَّـالِ جَانِـبْ
٣٣.وَكُنْ فِي الْعِلْمِ جِدِّيًّا حَرِيصًا فَفَـضْلُ اللَّـهِ لَـا يُعْطَـاهُ لَاغِـبْ
٣٤.وَقُـدْوَتُنَا رَسُـولُ اللَّـهِ دَوْمًـا وَهِمَّتُنَـا الْخَلَـاصُ مِـنَ الـشَّوَائِبْ
٣٥.لِنُحْـشَرَ مَـعْ نَبِـيِّ اللَّـهِ نُـسْقَى مِنَ الْحَوْضِ الشَّرِيفَةِ بِالْمَشَارِبْ
٣٦.وَنَـدْخُلَ جَنَّـةَ الْفِـرْدَوْسِ نَحْيَـا حَيَـاةً سَـرْمَدًا بَـيْنَ الْكَوَاعِـبْ
٣٧.وَيُعْطِينَـا الْإِلَـهُ الْحَـقُّ حُـسْنَى فَنَنْظُـرُ لِلْكَـرِيمِ بِغَيْـرِ حَاجِـبْ
٣٨.إِلَهِـي قَـدْ رَفَعْـتُ إِلَيْـكَ كَفِّـي أَيَـا مَـنْ يَـسْتَجِيبُ لِكُـلِّ طَالِـبْ
٣٩.أَجِرْنَـا مِـنْ ضَـلَالٍ وَابْتِـدَاعٍ وَأَهْـوَاءٍ تَـسُوءُ بِهَـا الْعَوَاقِـبْ
٤٠.وَفِـي دَارِ الْمُقَامَـةِ فَـاعْفُ عَنَّـا وَجَنِّبْنَـا الْمَخَـازِي وَالْمَعَايِـبْ
٤١.وَصَـلَى اللَّـهُ رَبِّـي ثُـمَّ سَـلَّمْ عَلَـى بَـدْرِ الْمَـشَارِقِ وَالْمَغَـارِبْ
٤٢.وَأَزْوَاجِ النَّبِـيِّ وَآلِ بَيْـتٍ وَأَصْـحَابٍ وَهُـمْ خَيْـرُ الْمُـصَاحِبْ
٤٣.كَـذَا وَالتَّـابِعِينَ الـصَّحْبَ حَقًّـا وَعَنَّـا رَبَّنَـا يَـا خَيْـرَ وَاهِـبْ

❖❖❖

من أخبار الجامعة السلفية

قام الدكتور أبو حفص عمر جبريل من المملكة الأردنية الهاشمية بزيارة الجامعة السلفية في ٢٩ / ٦ / ١٤٣٥ هـ = ٣٠ / ٤ / ٢٠١٤ م. والضيف الكريم من حملة الدكتوراه في الحديث الشريف، وهو من تلامذة المحدث الكبير العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله. يحمل غيرة دينية على الإسلام والعقيدة السلفية، ويحمل همومه لنشر التعليم الديني الأكاديمي العالي في أبناء المسلمين. وقد فرح بمشاهدة الأنشطة التعليمية والدعوية لمسلمي الهند. وفي الوقت نفسه أبدى استعجابه بعدم تواجد جامعة دينية تنظم الدراسة العليا إلى مرحلة الدكتوراه. وقد أكد على ذلك في لقاءاته مع العلماء ومسؤولي المدارس والجامعات الإسلامية.

وصل الضيف الفاضل إلى الجامعة في صباح يوم الأربعاء: ٢٩ / ٦ / ١٤٣٥ هـ وقام بجولة في داخل الجامعة، وتفقد الفصول الدراسية والمكاتب الإدارية والمكتبة المركزية. وقابل الطلبة والمدرسين والمسؤولين، وقام بإمامة الصلاة في صلاة الظهر بمسجد الجامعة، وألقى بعدها كلمة مختصرة حث فيها الطلاب على بذل الجهد في تحصيل العلم والتأدب بالأخلاق الإسلامية.وعقد جلسة خاصة مع فضيلة الأمين العام للجامعة الشيخ عبد الله سعود بن عبد الوحيد، وأجرى معه الحوار حول موضوعات تعليمية ودعوية. ثم سافر الشيخ إلى مدينة مئو ومنها إلى مدينة مباركفور، يصاحبه في هذا السفر فضيلة الشيخ محمد أسلم المدني، المدرس بالجامعة السلفية. وكان من أهم أهداف زيارته لمدينة مئو مقابلة الشيخ محمد الأعظمي وقراءة الحديث عليه وأخذ الإجازة منه. فحصل له ذلك. وقد أقام في استضافة الجامعة العالية العربية بمئو.

وبعد عودته من سفر مئو ومباركفور في صباح يوم الجمعة: ٢ / ٧ / ١٤٣٥ هـ تفضل بإلقاء خطبة الجمعة في مسجد الجامعة السلفية، وكان موضوع الخطبة الخشوع في الصلاة، حث فيها على ضرورة تفقد الخشوع وحضور القلب في العبادات عامة وفي الصلاة خاصة. وغادر – حفظه الله – مدينة بنارس مساء يوم الجمعة ٢ / ٥ / ٢٠١٤م. حفظه الله في حله وترحاله.❖